نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

Issue No: 55 عدد:
March 2012 آذار

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

وبنورك نعاين النور

شروق الشمس في الجبل المقدّس آثوس

بالصليب الكريم المحيي أتم المسيد الفداء للبشرية جمعاء

محتويات العدد

2 فضيلة الإحتمال

3 كلمة غبطة البطريرك
كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 الخلاص
القديس أثناسيوس الإسكندري

5 رموز العذراء

6 التوبة والإعتراف

7 الخمرة المسكرة

8 الصليب
القديس كيرللس الإسكندري

9 تفسير القدّاس الإلهيّ

10 الفائدة، الربا، الرأسمالية

12 حضور الأصل في الأيقونة

14 المحبّة في المفهوم المسيحي

16 شيطان النصيب الأكبر

17 الملائكة وخدمة التعبّد

18 لأولئك الذين يحبّون الله

20 أين نجد السعادة

21 سرّ الموت

23 العهد القديم . (٣٩)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي
(الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

﴿سفر صموئيل الأوّل﴾

مواقف إحتمال لداود النبي:

١) من أخيه الأكبر أليآب.

عندما غضب عليه واتهمه ظلماً. « وسمع أخوه الأكبر أليآب كلامه مع الرجال. فحمى غضب أليآب على داود وقال: لماذا نزلت؟ وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة في البريّة ؟ أنا علمت كبرياءك وشرّ قلبك لأنّك إنما نزلت لكي ترى الحرب. فقال داود: ماذا عملت الآن؟ أما هو كلام؟». (١ صم١٧: ٢٨-٢٩).

٢ ـ من شاول الملك (سبع مرات):

+ لقد انفتح قلب داود واتسع ليحتمل عداوة شاول بطول أناة فكان الرب يسنده.

+ نجح داود النبي في مقابلة عداوة شاول المتكرّرة باللطف ... وقد مات شاول قتيلاً بيد غير يد داود وتمتع داود بالنفس المتّسعة بالحب ليكون مثالاً حيّاً للإحتمال والحب.

يقول القديس أفرام السرياني:

(ليت الإنسان يُظهر رحمة لمضطهديه كما يفعل بن يسّى مع شاول).

يقول القديس ايرونيموس:

عن إصرار شاول على تعقّب داود للخلاص منه وإصرار داود على الإحتمال بطول أناة قائلاً:

(هل يغيّر الكوشي جلده أو النمر رقطه (أر١٣: ٢٣) هكذا لم يستطع شاول أن يغير شخصيته أو خبثه ... لقد سقط بين يدي مرتين وكان في إستطاعتي أن أقتله. كان يمكنني أن أسفك دمه. لقد أردت أن أغلبه باللطف والإحتمال).

يقول القديس غريغوريوس:

(يعلمنا الكتاب أن نوحاً كان باراً ، وإبراهيم مؤمناً ، وموسى حليماً ، ودانيال حكيماً، ويوسف طاهراً ، وأيوب بلا لوم ... وداود صاحب النفس الكبيرة).

يقول الشاعر:

دَعِ الأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ
وَطِبْ نَفْساً إِذَا حَكَمَ القَضَاءُ
وَلاَ تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي
فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
وَكُنْ رَجُلاً عَلَى الأَهْوَالِ جَلْداً
وَشِيمَتُكَ السَّمَاحَةُ وَالوَفَاءُ
وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي البَرَايَا
وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ
يُغَطِّى بِالسَّمَاحَةِ كُلُّ عَيْبٍ
وَكَمْ عَيْبٍ يُغَطِّيهِ السَّخَاءُ
وَلاَ حُزْنٌ يَدُومُ وَلاَ سُرُورٌ
وَلاَ بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلاَ رَخَاءُ
وَلاَ تُرِ لِلأَعَادِي قَطُّ ذُلاًّ
فَإِنَّ شَمَاتَةَ الأَعْدَا بَلاَّءُ
وَلاَ تَرْجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ
فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمْآنِ مَاءُ
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّأَنِّي
وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ العَنَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ
فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ المَنَايَا
فَلاَ أَرْضٌ تَقِيهِ وَلاَ سَمَاءُ
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ
إِذَا نَزَلَ القَضَا ضَاقَ الفَضَاءُ
دَعِ الأَيَّامَ تَغْدُرُ كُلَّ حِينٍ
وَلاَ يُغْنِي عَنِ المَوْتِ الدَّوَاءُ

يتبع في العدد القادم

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة عيد القديس سمعان الشيخ ٢٠١٢/٢/١٦

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح
أيها المسيحيّون الحسني العبادة

القديس الذي نكرّمه في هذا اليوم ، الصدّيق سمعان الشيخ القابل الإله ، جمعنا كلّنا اليوم في هذا المكان المميّز والفريد ، كونه بيته ومدفنه الخاص.

هذا الحدث الإحتفالي الذي مَدّنا به القديس لوقا الإنجيليّ البشير : هو التكملة لسرّ التدبير الإلهيّ ، يعني سرّ ولادة كلمة اللّه المسيح من العذراء مريم قبل أربعين يوماً في مدينة بيت لحم اليهوديّة. وهي فعلاً تكملة لسرّ التدبير الإلهيّ لأنّها حسب قول مرنّم الكنيسة:

«لقد ظهر الربّ شمس البرّ نور إعلان للأمم ، جالساً على سحابة خفيفة. ليتمّ ظلّ الناموس ويعلن بدء النعمة الجديدة. ولمّا عاينه سمعان الشيخ هتف يقول: أطلقني من البَلَى فإنّي أبصرتك اليوم».

بكلام آخر ، الشيخ سمعان بحمله المسيح على ذراعيه ، أصبح شاهد عيان لتكملة ظلّ النّاموس وبدء النعمة الجديدة. فالنعمة الجديدة ما هي إلاّ حريّة الإنسان بالمسيح ، وإنعتاقه من الخطيئة والفساد الناتجين عن عبوديّة الشيطان ، كلّ ذلك من خلال **قيامة المسيح الظافر** كما يقول مرنّم الكنيسة:

«إفرحي يا والدة الإله العذراء المتلئة نعمة ، لأنّه منك أشرقت شمس البرّ المسيح إلهنا تنير الذين في الظلام. فافرح وابتهج أنت أيها الشيخ الصدّيق بحملك على ذراعيك محرّر نفوسنا ومانحنا البعث **والقيامة**».

هلمَّ لنرى كنيستنا تجاهر من خلال فم مرنمّها:

«لينفتحنّ اليوم باب السماء ، الكامل يفرغ ، الذي قبل الدهور يبدء، الكلمة يتجسّد ، الخالق يُخلَق ، الغير الموسوع يوسع ، الغير المتحيّز يتحيّز طوعاً بالجسد لا باللاهوت».

سمعان الشيخ بارك اللّه قائلاً: «الآن تُطلق عبدك أيها السيّد حسب قولك بسلام. لأنّ عينيّ أبصرتا خلاصك ، الذي أعددته قدّام وجه جميع الشعوب نورَ إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل. كذلك باركهما سمعان وقال لمريم أمّه: إنّ هذا قد وضعَ لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامةٍ تُقاوم».

نعم أيها الأخوة الأحباء

إن يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى مدى الدهر، إنّه النّور المعلن للأمم ، والعلامة التي تُقاوم.

هذا يحدث لأنّ اللّه الآب هو نورٌ بشخص مخلصنا يسوع المسيح ، ينير كلّ إنسان آتياً إلى العالم. أما لقاء الإنسان مع المسيح فإنّه يتمّ بمحض إختياره الحرّ ، لأنّ اللّه روح. والذين يسجدون له فبالروح والحقّ ينبغي أن يسجدوا. الروح الإلهيّ ، أي الروح القدس هو روح الحقيقة في المسيح ، وروح المسيح الحقّ. «تعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم» (يو٨:٣٢).

كنيسة المسيح هي الهيكل لتكملة النعمة الجديدة للمسيح ، وأيضاً الرؤية لإكتشاف تكملة النور ، أي النور غير المخلوق حيث المجد الذي تجلّى به المسيح ، هذا المجد الذي ينتظرنا كلّنا جميعاً ، خاصّة في مرحلة إستعدادنا للقيامة من سقطاتنا ، وقيامتنا مع فادي نفوسنا ربّنا يسوع المسيح.

وكما يقول **القديس كيرللّس الإسكندري**: إنّ المسيح لأجل مساعدتنا إتّخذ نوعاً من التكيّف ، فالكلمة الإلهيّ صار إنساناً ، كما يقول بولس الحكيم : «الذي إذ كان في صورة اللّه لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً للّه، لكنّه أخذ صورة عبد صائراً في شبه النّاس ، ووضع نفسه إلى الفقر». فابحثوا إذاً ، مَن هو ذلك الذي كان أوّلاً في صورة اللّه الآب ، وهو في الحقيقة مساو له ، ولكنه أخذ صورة عبد ، وحينئذ صار إنساناً ، وإلى جانبٍ ذلك جعل نفسه فقيراً. هل هو الذي من نسل داود كما يجادلون ، الذي يعتبرونه منفصلاً بنفسه كإبن آخر ، مختلفاً عن كلمة اللّه الآب؟ إن كان كذلك فدَعهم يُبَيّنون متى كان مساوياً للآب؟ دعهم يُبَيّنون كيف اتخذ صورة عبد؟ أو ماذا سنقول عن ماهية صورة العبد تلك؟ وكيف أخلى نفسه؟ .

فهل يوجد ما هو أفقر من الطبيعة البشريّة ؟ لذلك فالذي هو صورة اللّه الآب وشبهه والتعبير الواضح عن شخصه ، والذي يشّع ببهاء في مساواة معه ، والذي هو بالطبيعة حُرّ ، ونير ملكوته موضوع على كُلّ الخليقة ، هذا هو نفسه الذي إتّخذ صورة عبد ، أي صار إنساناً ، وجعل نفسه فقيراً إذ رَضِيَ أن يحتمل هذه الأمور البشريّة ما عدا الخطيّة.

وهذا ما يؤكّده مرنّم الكنيسة إذ يقول:

«لقد تجسَّدت كما ارتضيتَ ولم تنفصل بلاهوتك عن أحضان الآب. وحملتك الدائمة البتوليّة على ذراعيها. ودفعتك إلى يديْ سمعان القابل الإله. يا ضابط البرايا بيده».

فبشفاعات والدة الإله العذراء الدائمة البتوليّة مريم ، وصلوات البار سمعان القابل الإله وحنّه النبيّة ، أيها الرب يسوع المسيح إلهنا إرحمنا وخلّصنا آمين.

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الجزء الأوّل

مقدمة

+ تجسّد ابن اللّه وموته على الصليب وقيامته هي محور الإيمان المسيحي والحياة المسيحيّة:

كان القديس أثناسيوس الإسكندري يملك رؤية واضحة لرسالة المسيح في عمقها واتساعها. هذه الرؤية الواضحة كانت ثمرة للتسليم الذي استلمه من الآباء الذين سبقوه والذي تفاعل مع إختباره الروحي الحيّ. فهو يؤكّد في كتاباته إنّ **تجسّد ابن اللّه الكلمة وموته على الصليب وقيامته**، هذه الثلاث عناصر المرتبطة معاً هي محور الإيمان المسيحي كلّه والحياة المسيحيّة كلها، هي مركز الإيمان والتقوى.

أ ـ إذ يقول: « إنّ أساس إيماننا هو أن نتحدث عن الهدف الذي من أجله جاء وعاش فيما بيننا بالجسد، وعن كيفية موت جسده. فأساس الإيمان هو الحديث عن تجسّد المسيح وعن موت جسده».

ب ـ وأيضاً الكلمة« ببذله لجسده الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مناسبة، فإنّه رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه البشر... فقد كان لائقاً به أن يقدّم هيكله الخاص فدية عن حياة الجميع موفياً دين الجميع بموته. وهكذا.. بإتحاده بالبشر.. فإنه ألبَسَ الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات، ولم يعد الفساد الفعليّ بالموت له أي سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي سكن بينهم بواسطة جسده.

فعندما يتحدث القديس أثناسيوس عن الفدية عن حياة الجميع فهو يقصد طبعاً أنّه يخلّص البشر من الموت ويهبهم الحياة الأبديّة وعدم الفساد. فهذا هو أوّل أهداف تجسّده حسب شرحه في نفس كتاب تجسّد الكلمة.

ج ـ التجسّد لأجل خلاصنا: وأيضاً في تقديمه لكتاب تجسّد الكلمة يقول: «ولكونه هو الكلمة فإنّه بسبب صلاح أبيه ومحبّته للبشر، ظهر لنا في جسد بشري لأجل خلاصنا». ويظهر مرات عديدة من كلام القديس أثناسيوس أنّ الدافع للتجسّد وعمل الخلاص هو محبّة اللّه للبشر وصلاحه. وهذا يوضح كما ذكرنا أنه استلم روح الإنجيل وخبرة الرسل من الآباء السابقين مع إختباره الروحي. أي محبة اللّه وحنان اللّه وصلاحه هي سبب التجسّد، هي سبب البذل، هي سبب الخلاص. إذ يقول: «لأجل قضيّتنا تجسّد لكي يخلّصنا، وبسبب محبّته للبشر قَبِلَ أن يتأنّس ويظهر في جسد بشري». وأيضاً: «أتى (الكلمة) إلينا في تنازله، ليُظهِر محبّته لنا ويفتقدنا (بخلاصه)».

معنى الخلاص عند القديس أثناسيوس:

لكي نعرف معنى الخلاص عند القديس أثناسيوس، يحسن أن نطرح ٣ أسئلة:

١ ـ من ماذا نَخلُص ؟ أي ما هو الذي يخلّصنا المسيح منه؟

٢ ـ ما معنى موت المسيح وقيامته بالجسد عند القديس أثناسيوس؟ أي ما هو معنى موت المسيح عنده؟

٣ ـ ما هو المصير الذي يوصلنا إليه موت المسيح وقيامته؟ أي نتائج الموت والقيامة.

أولاً: من ماذا نَخلُص ؟

لكي نعرف «من ماذا نَخلُص»، نحتاج أن نحصل على إيضاحات من كلام القديس أثناسيوس عن:

١: أ ـ حالة الإنسان الأصليّة قبل السقوط.

ب ـ وما هي الحالة التي صار عليها بالسقوط.

ج ـ ما الذي يحتاج إليه الإنسان لعلاجه من نتيجة السقوط.

أ ـ من جهة حالة الإنسان الأصليّة قبل السقوط، يعرّفنا القديس أثناسيوس أن الإنسان عند خلقته، هو قابل للموت والإضمحلال حتى قبل السقوط، وأنّه بدون نعمة الخلق على صورة اللّه لم يكن ممكناً للإنسان أن يحيا الحياة الحقيقيّة ويعيش في السعادة إلى الأبد وليس له الخلود في ذاته بدون الكلمة. فالموت بالنسبة للجسد بل وحتى النفس هو أمر طبيعي للمخلوقات كلّها. فيقول إنّ البشر: «إذ صاروا أشراراً فليعلموا أنهم سيجلبون الموت على أنفسهم حسب طبيعتهم».

ويقول القديس أثناسيوس، إن الإنسان «كان عاجزاً بطبيعة تكوينه عند خلقته عن البقاء على الحالة التي خُلِقَ عليها .. ولذلك فإن اللّه تحنّن عليه وأعطاه نعمة إضافيّة .. بأن خلقه على صورته .. حتى يستطيع وله بعض من ظلّ الكلمة أن يبقى في السعادة ويحيا الحياة الحقيقيّة في الفردوس».

أي أن الإنسان خُلِقَ على غير فساد بكونه مخلوقاً على صورة اللّه ـ صورة اللّه الذي هو الكلمة اللوغوس. وعدم الفساد ليس من طبيعة الإنسان بل من صورة اللّه فيه. اللّه غير المائت غير الفاسد غير المضمحل، الخالد. وهنا يتميّز تعليم القديس أثناسيوس عن **خطأ اللاهوت الغربي** الذي يقول إن الإنسان وُهِبَ عطيّة فائقة للطبيعة بعد خلقته أي أنّ **النعمة مخلوقة**، ولذلك فيمكن أن يفقد النعمة تماماً.

أما القديس أثناسيوس فيقول إن النعمة الإضافيّة وهي الخَلق على صورة اللّه هي عنصر رئيسي في تكوين طبيعة الإنسان منذ البداية. ومعنى كلامه هذا هو أنّ الإنسان يملك في داخله إمكانية إلهية بطبيعة خلقته، وأن النظرة الصحيحة للإنسان بحسب الكتاب المقدّس هي أنه

يكون إنساناً بارتباطه باللّه وبدون الوجود في اللّه لا يكون الإنسان إنساناً حقّاً. فالإنسان الأصلي هو الإنسان الموجود في اللّه أو هذه هي حالة الإنسان الأصليّة. ولذلك يرى القديس أثناسيوس أن الصورة لا يمكن أن تتلاشى تماماً ولكن يمكن أن تتشوّه أو تعتم أو تضعف ، ولكن لا تُفقد فقداناً مُطلقاً. وهذا ما يشرحه في كتاب تجسّد الكلمة فصل ١٤. «عندما يعطي مثلاً بالصورة المرسومة على قماش ثمّ تلطّخت من الخارج بالأقذار مما أدى لإختفاء ملامحها ، فلابد من حضور صاحب الصورة نفسه لكي يمكن إعادة الصورة وعلى نفس القماش ولا يُلقَى بالقماش» ..

كما يوضح القديس أثناسيوس أننا رغم أننا قد خُلقنا على صورة اللّه ، وندعى صورة اللّه ، ومجد اللّه معاً ، فهذا ليس من ذواتنا بل بسبب ذلك الذي هو صورة اللّه، وهو مجد اللّه الحقيقي الساكن فينا ـ الذي هو كلمته، الذي من أجلنا صار جسداً فيما بعد ـ بسببه هو ننال نحن نعمة دعوتنا هذه ، أي نعمة كوننا على صورة اللّه وندعى صورة اللّه ومجده. فالمسيح هو «صورة اللّه غير المنظور» كما يقول الرسول بولس في رسالته إلى كولوسي ١٥:١ أما الإنسان فهو مخلوق على صورة اللّه، أي هو صورة الصورة.

+ معنى الخلق على صورة اللّه:

١ ـ معرفة اللّه وكلمته ورؤيته في عقل أو قلب الإنسان وإدراك الأمور العقليّة مثل الكائنات العقليّة والأفكار والحقائق العقليّة.

٢ ـ الشركة مع اللّه الآب ومع الكلمة (اللوغوس) والحياة والخلود مع اللّه.

ب ـ الحالة التي صار عليها الإنسان بالسقوط:

١ ـ أي ما صار إليه بالعصيان بتحويل فكره إلى الأشياء الحسيّة المخلوقة بدلاً من النظر في اللّه والتأمّل فيه ، وذلك بمشورة الشيطان.

٢ ـ ونتج عن تحوّل فكر الإنسان من النظر في اللّه أنّ البشر فقدوا معرفة اللّه.

٣ ـ وعادوا إلى العدم: وعادوا تعني أنهم خُلقوا أصلاً من العدم ، فعادوا إلى العدم، لأنّهم كانوا يستمدّون وجودهم من اللّه الذي هو «الكائن» ، ولذلك فإنّهم يُحرمون إلى الأبد من الوجود.

٤ ـ والنتيجة هي الإنحلال والبقاء في حالة الموت والفساد (الفناء).

+ ولكن مشابهة الإنسان للّه ـ أي صورة اللّه فيه ـ فقدها الإنسان تدريجيّاً، وبدأ الفساد يسود على البشر بصورة أقوى من سيادته على الطبيعة، وذلك نتيجة عصيان الوصيّة .. والفساد يُعتبر عملية Process خطيرة تؤدي إلى العدم مع مرور الزمن.

وفقدان الإنسان لصورة اللّه الكلمة الساكن فيه ، أدى بالبشر إلى إزدياد جهلهم باللّه، وازدياد الجهل باللّه يؤدي إلى السقوط في الشرور بكثرة وهذا بدوره يؤدي إلى إزدياد جهلهم أكثر باللّه. وهكذا صارت الأمور عبارة عن حلقة خبيثة: خطأ يؤدي إلى فساد، فساد يؤدي إلى جهل باللّه، جهل باللّه يؤدي إلى شرور أكثر. وهذا يؤدي إلى فساد أكثر حتى يؤدي إلى العدم.

بفضل الكلمة وحده كان البشر يستطيعون أن يقرأوا في الكتاب المفتوح (أي الخليقة المنظورة) عن معرفة اللّه، وإظهاره لنفسه في الكون المخلوق.

فالقديس أثناسيوس يركّز في وصفه لإنحراف الإنسان وسقوطه على النظرة المَرَضيّة أي التغيير المَرَضي الذي أصاب طبيعة الإنسان بسبب تحوّله من النظر في اللّه، أكثر من النواحي الأخرى التي نتجت عن السقوط مثل الإنحرافات السلوكيّة والأخلاقيّة، وإن كان يذكر هذه الإنحرافات باعتبارها أعراض طبيعيّة للمرض الروحي داخل نفس الإنسان في طبيعته وكيانه. وهكذا فإن انحراف الإرادة وكذلك إنحراف السلوك بالتالي يدخلان ضمن الفكرة العامة عند القديس أثناسيوس ألا وهي الفساد = φθόρα(فثورا) أي التحلل والإضمحلال مما يؤدي إلى الفناء. فالفساد في طبيعة الإنسان الداخليّة يؤدي إلى فساد في المعاملات والسلوك والأخلاق كنتيجة طبيعيّة لفساد الداخل.

ج ـ ما يحتاج إليه الإنسان:

يحتاج الإنسان أساساً وقبل كلّ شيء إلى شفاء الطبيعة التي مرضت أي إلى تغيير جذري في كيانه وطبيعته، أي بالأحرى إعادة غرس الطبيعة الإلهيّة السامية من جديد، وهي الحياة الإلهيّة التي كانت له، والتي فقدها تدريجيّاً كما ذكرنا.

وهذا ما يشرحه القديس أثناسيوس في فصل كامل من تجسد الكلمة ، يبيّن فيه لماذا كان من الضروري أن يتجسّد الكلمة، وأنه كما التصق الفساد بالجسد يحتاج الأمر أن تلتصق به الحياة بدلاً من الفساد، لابد أن تتحد الحياة بالجسد لتطرح عنه الفساد، ويتم تغيير الطبيعة البشرية وتجديدها بإتحاد الكلمة بالجسد.

يتبع في العدد القادم

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء ـ فُلك نوح (١٥)

كما أنّه بالفُلك خلّص اللّه نوح وبنيه الذين هم مختاريه من الهلاك ... وكما أنّ الفُلك حَفظَ بداخله ثمانية أنفس أعني الحياة التي بعد الطوفان (لأنّ اليوم الثامن هو يوم الأبديّة) ... هكذا السيّدة العذراء حملت بداخلها الإله الذي منحنا الحياة الجديدة والدائمة التي لا نهاية لها..

التوبة والأعتراف

من طلب أن
يُخلّص نفسه يهلكها
ومن أهلكها يُحييها
لوقا 17: 33

عن مجلة ينبوع الحياة باليونانية، العدد ٩٣، ٣ تموز ٢٠٠٥.

من بين المواهب التي لا تقدّر التي منحنا إياها ربنا ومخلصنا هي سرّ التوبة المخلص النفس، أو كما نسمّيه سرّ الاعتراف. من خلال هذا السرّ تُغفَر خطايانا وتُرمى بعيداً. من دون الأعتراف، لا يمكن لأي إنسان أن يخلُص، بغض النظر عن فضائله، إذ يستحيل إيجاد ولو إنسان واحد بلا خطيئة. إن الإدراك المتواضع لخطايانا والأعتراف بها يسرّان ربّنا. لو أن آدم، بعد عصيانه وسقوطه، إعترف تائباً بخطيئته لكان بالتأكيد حصل على الغفران من ربنا الفائق الكَرَم. حتّى قايين الذي ارتكب العمل الأثيم، أي قتل أخيه الطوعي البغيض، لكان ممكناً أن يُغفَر له من خلال التوبة والأعتراف. هذا ما فعله الملك داود؛ مع كونه مذنباً في خطيئتين مميتتين، **القتل والزنى**، فقد استحق الغفران والرحمة من اللّه بسبب توبته الحقيقية. «أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي، وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي.» (مزمور٣١:٥).

لكي يكون اعترافنا صحيحاً ويطهّر كل الوسخ والقذارة من ضميرنا ويلمّع نفسنا ويجعلها «**أبيض من الثلج**»، علينا ألاّ نرتجل هذا السرّ وألاّ نقاربه من دون تهيئة لائقة. أمر مؤسف كيف يقارب أغلب إخوتنا الأرثوذكسيين هذا السرّ. إن سراً كسرّ الأعتراف يتطلّب الأستعداد المناسب ويجب مقاربته بالحالة القلبية التي تناسب.

أولاً ، علينا أن نستعد ليومين أو ثلاثة قبل أن نتقدّم من الأعتراف. خلال فترة الأستعداد هذه، علينا أن نجعل إحتكاكنا بالآخرين في الحدّ الأدنى الممكن عملياً، فيما في الوقت نفسه نجمّع أفكارنا ونوسنا. نتأمّل في فترة ما بعد اعترافنا الأخير، أيمكن أن نتذكّر متى اعترفنا لآخر مرة أم هذا اعترافنا الأول؟ بهذه الطريقة، نحاول أن نتذكّر نوع وعدد الخطايا التي ارتكبناها منذ ذلك الحين، بالقول أو بالفعل أو بالفكر، وما إذا كنا نوينا أو تصرّفنا بهذه الطريقة عن إهمال أو قلة اهتمام.

ثانياً ، عندما نتوجّه إلى الأب الروحي، نخبره بكل خطايانا وكيف تمت بالضبط. يجب ألا نخفي أي شيء إطلاقاً، أو نغيّر شيئاً أو نلقي اللوم والخطأ في أخطائنا على الآخرين. إلى هذا، يجب ألاّ نكتفي بتعداد ناشف بياني لخطايانا، بل بالأحرى يجب أن نصف بشكل عام حالة **نفسنا وأهوائنا وميولنا ورغباتنا وعيوبنا وأخطاءنا وضعفاتنا**. بهذه الطريقة، يُعطي الأب الروحي، كطبيب للنفوس، الفرصة لتشخيص مرضنا وتكوين صورة كاملة عنه وبالتالي لتحديد العلاج الصحيح بشكل قاطع وفعّال.

ثالثاً، يجب أن نختار الطريقة التي بها نصف خطايانا بتأنٍ كي

تدمج الدقة واللياقة. بتعبير آخر، علينا من جهة أن نحدد بكلمات قليلة ظروف وعناصر كل خطيئة، ماهيتها وكيفيّة حصولها وزمانه إلخ... ، حتى يتمكّن الأب الروحي من تقدير «**وزنها**» الصحيح. من جهة أخرى، علينا أن نتلافى التوصيفات المفصّلة الكثيرة الكلام التي تُتعب وتكون أحياناً مخزية. فهذه الأخيرة لا تقدّم أيّ منفعة لنا ولا للأب الروحي. يجب أن نلاحظ بشكل خاص أنّه إذا ارتُكبَت الخطيئة مع شخص أو أكثر (مثلاً اشتركنا بالسرقة مع بعض أصدقائنا أو صار زنى مع شخص محدّد)، فالأفضل عدم كشف هويتهم. فلنتُبْ فعلياً عن خطيئتنا ونترك الآخرين لحكم ربنا ورحمته.

رابعاً ، من بين كل العوامل المتعددة، الأكثر أهمية هو أن نجد أباً روحياً مختَبراً، ذا تمييز، حكيماً، متعقلاً، حساساً، وقادراً على علاج قروح وجراح أنفسنا بتعاوننا ونعمة الله. كما نبحث فيها عن طبيب قادر على شفاء أمراضنا الجسدية، على المنوال عينه، لا بل بتصميم أشدّ، علينا أن نبحث ونجد أباً روحياً قادر على المساهمة في معونتنا الروحية. هذا لأنه «إِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَانِ كِلاَهُمَا فِي حُفْرَةٍ» (متى١٥:١٤). من جهة أخرى، عندما نجد أباً روحياً فلنبقَ معهُ مدى الحياة ولا نغيّره. أولئك الذين يتنقلون من

أب روحي إلى آخر لا ينتفعون ولا يستفيدون مع أي منهم، سواء قاموا بذلك عن جهل أو عن أنانية. فقط عندما يتابعنا أب روحي بشكل منهجي ويتوصّل إلى معرفتنا جيداً يستطيع أن يساعدنا بشكل فعلي في جهاداتنا الروحية لتطهير نفوسنا والطريق التي تقود إلى خلاصنا.

يتميّز الاعتراف السليم بالصفات التالية:

١) إنه مختصر ولكن حقيقي. بتعبير آخر، إنه يتمّ بدون أي إغفالات، بدون كلام زائد فارغ، بدون تكرار غير نافع، بدون تقديمات ملتوية تعوزها الأمانة، وحتى بدون قصص وروايات.

٢) إنه متواضع. أي أنه يتمّ بإدراك كامل لخطيئتنا وذنبنا، إدراكاً يظهر في كلماتنا كما في حالتنا النفسية كمسيحيين.

٣) إنه صادق. وعليه لا يحوي أكثر أو أقل من الحقيقة النقيّة، ولا يوجد فيه أي إدّعاء أو تبرير. إلى هذا لا يعزو أي لوم إلى أي شخص آخر حتى إلى **الأبالسة والشيطان** نفسه!

٤) إنّه فوري أي أنه يتمّ من دون أي تأجيل أو تأخير. لحظة يوبخنا ضميرنا ويقرّعنا، علينا أن نجري إلى أبينا الروحي للأعتراف لأننا لا نعرف متى يزورنا الموت من دون إنذار.

٥) إنّه عاقل. أي أنه يتميّز بالتقييم الحسن والعقلانية والتدبير. كما أنّه مُصاغ بوضوح وجلاء وصراحة وتأنٍ وترتيب.

٦) إنه كامل وبالتالي يتضمّن كل خطايانا ولا يهمل أياً منها بنيّة الأعتراف بها لأب روحي آخر.

٧) إنه مثل العشّار ؛ أي أنّه يتمّ بورع فائق وتقوى وندامة قلب. لا يختلف عمّا نقرأ في الإنجيل :«وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيد، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اَللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ.» (لوقا١٨:١٣).

٨) إنه شخصي. وهكذا، لا ينبغي أن يعرف أحدٌ محتوى الأعتراف غير الأب الروحي والمؤمن المسيحي المعترف. إذا اضطر أحد أن يسمع إعتراف الآخر، وهو أمر نادر الحصول، عليه ألا يكشف لأي كان ما سمع مهما كانت الظروف بل أن يحمل ما سمع معه إلى القبر. هذا ينطبق بالأحرى على الكاهن نفسه الذي لا يُسمح له تحت أي ظرف كان أن يكشف خطيئة تمّ الاعتراف بها إليه، حتى ولو كانت حياته في خطر.

٩) إنه بداية حياة جديدة. يترافق مع إعترافنا هذا قرارٌ ثابت نتّخذه بوعي كامل بالأنخراط في صراعنا وحربنا الروحيين الشخصيين. وعليه نحن نقرّر ليس فقط ألا نكرّر الخطايا التي اعترفنا بها بل أيضاً أن نصنع خيراً من هذه الخطايا. وعليه نحن نعوّض لشخص قد أخطأنا إليه، نعيد ما سرقنا، نطلب المغفرة ممن أسأنا إليه، إلخ... إن لم نقم بهذا فتوبتنا ليست حقيقية.

١٠) إنه يترافق مع قبولنا بأي كفارة أو قانون يحدّده أبونا الروحي (كالصوم وعمل الرحمة أو أي شيء آخر يراه مناسباً). علينا أن نفهم بشكل كامل ونقبل أن هذه الكفارات لا تشكّل حكماً أو عقاباً، بل هي عنصر علاجي وتربوي لشفائنا الروحي ووسيلة بها نزداد روحياً.

فليَقُدنا السيّد جميعاً بالطريقة الأكثر ملاءمة لكل منا لنتقبّل سرّ الاعتراف. آمين

ماذا تقول الخمرة المُسكِرة عن نفسها ؟

تقول: «إنّي سلالة عائلة عظيمة يمتدّ تاريخها إلى عهد نوح ، وقد تقلّب عليّ حُلْوُها ومُرّها ، ولم تؤثّر في سلطاني العظيم، ولم يكن شيء في العالم يؤثّر في نفوذي ومقامي بين الناس ، حتى صراخ الأطفال إلى الخبز ، وقد دُعيَ الكثيرين عظماء ولكني أعظم الكلّ بلا جدال ، لأنّ سلطاني يحيط بالعالم أجمع ، وقد شاهَدَتْ الدنيا مجدي كلّ هذا الزمان الطويل ، وكنتُ سيّداً لها كلّها ، لا فرق بين ذَكر وأنثى ، ولا بين كبير وصغير ، ولا بين حكيم وجاهل ، ولا بين غنيّ فقير؛ فكلّهم أمام عرشي سواء... الكلّ لي سامعون ولهيبتي خاضعون ، عشتُ سلطان الرذائل ، متفنّناً في أساليب الغواية بحيث لا تنازعني قوّة الحيلة رذيلة ما ، أُخَدِّر أعصاب فريستي ـ إبن آدم ـ ثمّ أُنَوّمه وأوقظه وأُوَهّمه بتجدّد شبابه ، وهو مُسرعٌ إلى الفناء وبعظَم سروره وهو حليف الشقاء ، أكسو خدّيه إحمراراً يظنّه صَحَة وهو في الحقيقة نارٌ تحرق كلّ ما فيه من عصب وعضل ونسيج ، فبينما هو أحمرٌ قاتم فإذا به أصفرٌ شاحب ، أتلف تركيبه الإنساني العجيب ، وأُحوِّل قوّته إلى وحَشيّة وأمسخ فطنته إلى ظنّ سوء ، وحماسته إلى غيرة قاتلة ، وليس بين العقول البشريّة ما يَقوَى على صدّ غاراتي ، كنتُ ولا سواي ، ملك التخريب ومقوِّض كل نظام وتركيب ، بفعلي أصبح كلّ الأطفال بلا مأوى وملايين السيّدات في خرَق بالية بعد العزّ ، ودموع غزيرة بعد السرور ، وكَم أوهمتُ الناس بأنّهم يستطيعون التخلّص مني حين يُريدون ، ولكن أين هُم من حيلتي؟ وبأي سبيل يَنجون ؟ ، فإنّهم بإزائي لا يكونون أكثر من فقاقيع تظهر على سطح البحر وسرعان ما تظهر حتى تزول ، لا إرادة لهم مع إرادتي ولا قول لهم حين أقول، بدوني تقفل السجون ، ويبطل عمل الشرطة ويُعدَم الإعدام ، ولوّ صَفَّ الذين نكبتهم وأرْدَيتهم لألّفوا مجموعة بائسة يفتّت منظرها الأكباد ويمزّق القلب والفؤاد. فأين جيوش محاربيَّ؟ وأين أسلحتهم الماضية ليعملوها فيَّ ، لعلّهم يفوزون عليَّ ؟!!

لا تسكروا بالخمر التي فيها الخلاعة بل إمتلؤا بالروح (أف ٥: ١٨)

الصليب

ميمر للقديس كيرلس الإسكندري

إنّ المسيح غلبَ الشيطان بالوسائل التي غلَبَ بها الشيطان العالم. لقد حاربه بأسلحته الخاصّة التي استعملها هو. وكيف؟. **إليك ذلك:** العذراء. الخشبة. الموت. كانت علامات إنكساره. فالعذراء كانت حواء التي لم تكن بعد قد عرفت الرجل. والخشبة كانت الشجرة والموت قصاص آدم. فالعذراء والخشبة والموت وقد كانت وسائل الإنحدار صارت وسائل الغلبة نفسها. فمريم قامت مقام حواء. وخشبة الصليب مقام شجرة معرفة الخير والشرّ، وموت المسيح مقام موت آدم. وهكذا ترون أنّ الشيطان غُلِبَ بالوسائل نفسها التي ساعدت على انتصاره. فقد صرع الشيطان آدم بعود الشجرة والمسيح صَرَعَ إبليس بعود الصليب. لقد كان عود الشجرة يُلقي الناس في الجحيم، وعود الصليب أنقَذَ منه مَن كانوا قد انحدروا إليه. فالعود الأوّل عَرّى الإنسان من السلاح ولاشاه، والثاني جرّد هذا الظافر (أي إبليس) من سلاحه وشهّرهُ وغلَبه على مرأى من العالم. فموت آدم قضى على كل الذين جاءوا بعده، أما موت المسيح فأقامَ مَن ولدوا قبله. مَـن يُخبر بقوّة الربّ (مز١٠٤ :٢). لقد اجتزنا من الموت إلى عدم الموت: هذه هي **معجزة الصليب** ... الربّ حارَبَ والإكليل لنا. فإذاً بما أنّ الغلبة لنا، لنَقتَد بالجنود ولننشد اليوم في بهجتنا نشيد الظفر. لنقل مادحينَ الرَبّ: «قد ابتُلِع الموت في الغلبة. فأين شوكتك يا موت وأين غلبتك يا هاوية» (١كو١٥: ٥٤-٥٥).

هذه هي الإحسانات التي ولّدها لنا الصليب، **شعار غلبة منصوبٌ ضدّ الشياطين، وسيفٌ ضدّ الخطيئة، سيفُ غلبَ به المسيح الحية. فالصليب هو مشيئة الآب، مجد الإبن، إنتصار وتمجيد الروح القدس، شرف الملائكة، أمان الكنيسة موضوع مجد لبولس، ترس القديسين، نور الدنيا، لأنّه كما تُبَدّد ظلمات مسكن مُظلم بإيقاد مصباح ووضعه على مكان عال، هكذا المسيح إذ أنار الصليب كسراج وأقامه منصوباً، طرَدَ كلّ ظُلمات الأرض. وكما أنّ السراج يحمل نوراً في أعلاه هكذا الصليب كان يحمل في أعلاه المسيح شمس البر الباهرة. فالعالم ارتعد والأرض اهتزّت والحجارة تشقّقت لرؤيته مصلوباً. تشقّقت الحجارة لا قساوة اليهود. وحجاب الهيكل إنشقَّ ودسيستهم المُخزية لم تتراخَ.**

القديس كيرلس الإسكندري

أذكروا ما يسيل على المذبح. **إنّه دم، الدم الذي محا الصكّ الذي وقعّتهم عليه بخطاياكم**، الدم الذي طهّر نفسكم ومحا كل أدناسكم وانتصر على الرئاسات والقوّات: «المسيح جرّد الرئاسات والسلاطين وشهّرهم جهاراً ظافراً عليهم بصليبه» (كو٢: ١٥)، كما قال بولس الرسول. فشعار غلبته يحمل علامات ظفره التي لا عدد لها والغنائم مدلاة على رأس صليبه: فكما يضع ملكٌ عظيم على شعار غلبة عال الدروع والتروس وأسلحة الطاغية المغلوب وجنوده وذلك بعد ربح حرب صعبة، هكذا المسيح، بعد أن ربح الحرب ضد إبليس، علّقَ على أعلى الصليب كما على شعار غلبة كلّ أسلحة عدوّه أعني **الموت واللعنة**. وهكذا تستطيع أن تنظر هذا الشعار كلّ الكائنات، القوّات العلوية التي في السموات والناس الذين على الأرض، والشياطين المغلوبين أنفسهم. وبما أنّنا متمتّعون بنعمة عظيمة بهذا المقدار، فلنُظهر ذواتنا بقدر ما نستطيع جديرين بالخيرات التي نلناها لكي نفوز بملكوت السماوات بنعمة صلاح ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والعزّة والقدرة مع الآب والروح القدس في كلّ الأجيال آمين.

> إنّه مدهش بالحقّ وغير مُدرك كيف أنّ قوّة المسيح تحلّ في رسم الصليب لإطفاء الحريق وطرد الشياطين وتسكين الآلام وشفاء المرض، ولكنه بالضبط سرٌّ غير مُدرَك كحلول الروح القدس في الخبز والخمر فيصيران لحماً ودماً.
>
> وأيضاً إذا كانت قوّة يسوع المسيح حالّة في مكان وتستطيع أن تدعو الأشياء غير الموجودة إلى الوجود أي تخلقها من العدم خلقاً، فبالأولى أو بالأسهل أن تحلّ هذه القوّة لتغيير الأشياء الموجودة من المرض والفساد إلى الحياة والصحّة بإشارة الصليب الكريم المحيي.
>
> ولكن لئلا يظنّ النّاس أنّ قوّة الشفاء كائنة في الخشب أو الذهب المصنوع منه الصليب أو في مجرّد الإسم فقط، صارت قوّته وفاعليته متوقفة ومحدودة على الذين يؤمنون فقط.
>
> **(القديس يوحنا كرونستادت)**

تفسير القدّاس الإلهيّ

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

إرتفع اللهمّ على السموات

بعد أن يضع الكاهن القدسات فوق المائدة، يبخّرها ثلاثاً، ويقول: «إرتفع اللهمّ على السموات وعلى كلّ الأرض مجدك». «عندما تسمع ‹إرتفع› لا تعتقدنّ أنّه يطلب إلى اللّه أن ينتقل إلى علوّ أكبر ... بل يريد أن يرتفع مجده كما في السموات كذلك على الأرض» وبحسب «القديس أثناسيوس الكبير، فإنّنا بأقوال النبيّ داود هذه نقول للمسيح: لمّا أحدرت نفسك يا سيّد طوعاً ، لأجل خلاصنا وأفرغتها بالتجسّد وصرت مطيعاً حتى الموت، هكذا إصعد مجدّداً إلى السموات ، فالأرض بعد صعودك ستمتلىء كلّها بمجدك».

في كلّ مرّة يقام فيها القداس الإلهي، ينحدر المسيح من الأخدار السماويّة لأجل خلاصنا. وفي نهاية القداس يصعد مجدّداً إلى السموات، إلا أنّ «نور» مجده يبقى على الأرض ويضيء المسكونة بأسرها.

بتناول المؤمنين وصلنا إلى نهاية السرّ الشكريّ.

ويخلص الكاهن والمؤمنون من حوله إلى شكر اللّه وتمجيده: «ليمتلىء فمنا تسبيحة يا سيّد ...». بهذا التسبيح «يصلّي المؤمنون ليبقى فيهم التقديس الذي اقتبلوه فلا يكونون مسلَّمينَ للنعمة وفاقدين للموهبة ، وقد مُنحَتَا من الربّ نفسه. وأمّا نحن فماذا نفعل بدورنا؟ ... ‹نتأمّل حقوقه اليوم كلّه › أي حكمة اللّه ومحبّته البشر التي تغدو واضحة عبر الأسرار ... وتأمّل حقوقه يمكن أن يحفظ فينا التقديس، فهو يُنَمّي الإيمان باللّه ويوقد المحبّة ولا يدع أيّ شرّ ينال من النفس».

بعد ذلك يقول **الشمّاس:** إذ قد تناولنا أسرار المسيح الإله المقدّسة الطاهرة غير المائتة السماوية المحيية الرهيبة، فلنستقم ونشكر الربّ حقّ الشكر.

الشعب: يا ربّ ارحم.

الشمّاس: أعضد وخلّص وارحم واحفظنا يا اللّه بنعمتك.

بعد أن نسأل أن يكون نهارنا كلّه كاملاً مقدّساً سلاميّاً ، وبلا خطيئة. لنودع أنفسنا وبعضنا بعضاً وكلّ حياتنا للمسيح الإله.

الشعب: لك يا ربّ.

ويتلو **الكاهن** إفشين الشكر: نشكرك أيّها السيّد المحبّ البشر المحسن إلى نفوسنا، لأنّك أهّلتنا في هذا اليوم أيضاً لأسرارك السماويّة غير المائتة فاجعل طُرقنا قويمة ، أيّدنا جميعاً بخوفك ! إحفظ حياتنا ، ثبّت خطواتنا ، بصلوات وطلبات القديسة المجيدة والدة الإله البتوليّة مريم ، وجميع قديسيك.

ويعلن: لأنّك أنت تقديسنا ، ولك نرسل المجد ، أيها الآب والإبن والروح القدس ، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

الشعب: آمين.

بأيّة أقوال أشكرك يا مخلّص

إفشين الشكر هذا يعود بنا إلى صلاة الشكر المقابلة لها، صلاة تلاميذ المسيح في نهاية العشاء السريّ: «ثمّ سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون».

يلاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم: «إفشين القدّاس الإلهيّ هذا، هو رمز للصلاة تلك. الربّ شَكَرَ قبل أن يُعطي جسده المقدّس للتلاميذ لكي نرفع الشكر نحن بدورنا. ولمّا قدّمه لهم عاد وشكر من جديد وسبّح، لكي نصنع نحن أيضاً الأمر عينه».

والقديس سمعان اللاهوتي الحديث يشكر الربّ بعد المناولة الإلهيّة بهذه الصلاة:

«أنتَ يا مَن لا تدركه السرافيم، أنتَ، الخالق، المبدع، سيّد الخليقة، لا تراني فقط وتتحدّث إليّ وتغذيني، بل البشرة التي هي بشرتك خاصّتك، قد ارتضيت أن تمنحها لي وأن آكلها، وأن أشرب دمك الكليّ قدسه الذي أُهرِقَ من أجلي عندما جرى ذبحك ...

يتردّد ذهني، ولساني خائر القوى ، ولا أجد أقوالاً، يا مخلّص، لأعبّر عن أعمال صلاحك، تلك التي صنعتها من أجلي، أنا عبدك، قد اتّحَدْتَ بي،يا محبّ البشَر، برأفة لا تعرف حدوداً، أنت الكليّ الطهارة والقداسة، ذو قوّة لا تُقارَن، وعظمة لا مثيل لها، قد نزلتَ من العلوّ، من عليائك الذي لا يُسبَر علوه، إلى آخر أبواب الجحيم ، جحيم خطاياي، وظلام فقري وبيتي المتهدّم من جرّاء معاصيّ الكثيرة وإهمالي الكبير ، مُهمَل بجملته (بيتي) ومدنّس،...

فأنهضتني بادىء ذي بدء من الأرض، وثبّتني على صخرة وصاياك الإلهيّة، وغسلتني وطهّرتني من أوحال رجاساتي، وألبَستني حلّة أكثر بياضاً من الثلج، وطهّرت بيتي المدنّس، ولمّا دخلتَ إليه ، سكنتَ فيه، أيّها الثالوثُ إلهي ومن ثمّ جعلت منّي عرش ألوهتك الإلهيّ، ومنزل مجدك وملكوتك غير المدركَيْن، وإناء حاوياً المنّ **مَنَّ عدَم الفساد** ،ومصباحاً حافظاً فيه النور الإلهيّ الذي لا ينطفىء».

يتبع

الفائدة، الربا، والرأسمالية
دراسة لاهوتيّة

السيدة برندا إهسن،
أستاذة في جامعة تاكوما اللوثرية

تأليه المال والسعي وراء اللذة والعيش السهل هي الأمور السائدة في زمننا. إن استعمال المال واستغلاله تطوّرا في الدوائر البروتستانتية، ضمن أخلاقية افترضت أن المال هو بركة من اللّه وأن الأغنياء هم مباركوه. لقّد فَصّل **ماكس وابر** هذا الموضوع في أثره الأدبي المعروف «**الأخلاقية البروتستانتية وروح الرأسمالية**»، حيث إعتبر أنّ الرأسمالية، أي الاستعمال المعقلَن للمال والحياة ، هي نتاج كل المبادئ التي طوّرتها المجموعات البروتستانتية المختلفة في أوروبا. يستشهد **وابر**، بشكل خاص يتعلّق بقيمة المال، بالتوجيهات التي أعطاها **بنيامين فرانكلين** في كتابيه «**إلماحات ضرورية للذين يرغبون في أن يكونوا أغنياء**»، و«**إرشاد لتاجر شاب...**». في هذين الكتابين، ينصح **فرانكلين**: «تذكّر أن الوقت هو المال... تذكّر أنّ الدَين هو المال... تذكّر أن طبيعة المال خصيبة منتجة. يمكن للمال أن يلد المال، ويمكن لأبنائه أنَ يولّدوا أكثر، وهكذا دواليك... تذكّر هذا القول: صرّاف الرواتب هو سيّد كيس دراهم الآخرين. مَن هو معروف بأنّه يدفع على نحو دقيق وصحيح في الوقت الذي وعد به، يمكنه في أي وقت وفي أي مناسبة أن يجمع كل المال الذي يوفره أصدقاؤه...».

هذا هو المبدأ الأساسي في السوق المالية التي **تعاني من أزمة في هذه الأيام**. يرى **ماكس وابر** أن الإنسان محكوم بعطشه لاكتساب المال، اكتساب يُنظَر إليه كهدف للحياة. في سؤاله عن سبب وجوب أن يجمع الناس المال، يعلّق **وابر** على النصيحة المعطاة **لبنيامين فرانكلين** من والده **الكالفيني** الصارم حيث يشير إلى كتاب الأمثال «أَرَأَيْتَ رَجُلاً مُجْتَهِدًا في عَمَلِه ؟ أَمَامَ المُلُوك يَقِفُ. لاَ يَقِفُ أَمَامَ الرَّعَاعِ!» (أمثال٢٢: ٢٩). بحسب **وابر**، »كسب المال ضمن النظام المالي الحالي، في حال كان شرعياً، هو نتيجة الفضيلة وتعبير عنها وعن التقدّم المهني، وهذان الفضيلة والتقدم هما، كما يُظَنّ بسهولة، «**الألف والياء لأخلاقية فرانكلين**».

واضح أنّ عقلية الإنسان المعاصر هذه رأسمالية. إنّها تُلاحَظ في الغرب وقد أثّرت في كثيرين، في كل المسكونة. هذا ما لاحظه اللاهوتيون المعاصرون من الذين حلّلوا تعاليم آباء الكنيسة حول هذه القضايا. **السيدة برندا إهسن**، **أستاذة في جامعة تاكوما اللوثرية**، كتبت مقالين حلّت فيهما هذه القضية. عنوان المقالة الأولى «**الربا والباترولوجيا الهلينية ومجمل التعليم الاجتماعي**»، فيها قاربت مواضيع مثل: «ماذا يقول الكتّاب الآبائيون عن الأخلاقية الاجتماعية؟»، «مَن هم المرابون؟»، «ما هي الأسئلة المهمة التي ينبغي طرحها حتى يدركها الباحث عند مقاربته نصاً آبائياً اجتماعياً أخلاقياً؟»، «في ظلّ أي متطلبات وإلى أي نقطة يمكن اعتبار المراجع الآبائية مساهمة في التعليم الاجتماعي بشكل عام؟» ضمن هذه الفصول المركَزية يمكننا أن نجد تفرّعات كثيرة، مثل: «تحريم الربا في الإنجيل»، «المرابي كخطر على الجماعة (خبيث، وحش، كاذب، وحتّى قاتل)»، «الفقر الروحي عند المرابي»، «المرابون كأعضاء في الجماعة»، «إمكانية وجود استثناءات للإستدانة».

إلى هذا، تجيب على أسئلة أساسية ثلاثة:

«هل لنصوص الآباء الهلينيين أي تأثير على الواقع؟»،

«هل الآباء مهتمون بأن يكون لنصوصهم أي تأثير؟»،

«هل وجود الشؤون الهلينية–الرومانية لا يقبل الجدل؟»».

عنوان مقالتها الثانية:

«عظات باسيليوس وغريغوريوس حول الربا: الدَين حيث يجب الدَين».

فمات المسكين (لعازر) وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم

في هذه المقالة تعالج حوافزهما للاهتمام بموضوع الربا، والتأثيرات التي تعرضوا لها من الفلاسفة؛ استعمال الإنجيل في ما يتعلّق بطلب الفائدة أو بالربا كشكل من أشكال السرقة أو بالاضطراب الذي يسببه الربا؛ الصور المستعمَلة لوصف المرابي، وللفائدة السماوية. عند هذه النقطة، أريد أن أقدّم مقدمة **برندا إهسن** وخاتمة دراستها الأولى، ومقطعاً أساسياً من الفكرة الرئيسية عندها. أرى ذلك شيئاً مفيداً لكونها وُلدَت وتربّت وتعلّم في جامعة في أميركا حيث استغلال المال هو علم بحدّ ذاته. تكتب في المقدّمة: «إنه لأمر محقق لا يمكن إنكاره بأن مناقشة النتائج الأخلاقية للفائدة والربا لم تعد تثير اهتمام المواطن العادي. فالفائدة لم تعد ينظَر إليها كمشكلة بل كعنصر طبيعي في الحياة. نحن سعداء بدفع ٤٪ طالما يمكننا شراء سندات المكافأة التي يشدد الأخصائي على أننا بحاجة إليها». للأسف، ملايين من الناس على الأرض يعانون على يدي الآخرين الذين يسعدون بتركهم في فقرهم، عن طريق الفائدة المركّبة الباهظة المضنية. يفكّر الطلاّب في صفي: أين المشكلة إذا استدان الإنسان المال وردّه مع فائدة، إذا كان راشداً ومدركاً لما يفعل. إني مقتنعة أن المشكلة تكمن في حقيقة أن القرن الحادي والعشرين يحمل **بشكل فاحش الفقر والجوع والتشرّد والموت** للمدينين وعائلاتهم. الأمر الأبعد هو العبودية للمرابي الذي يمنع المدين عن رؤية الله بأعماله.

الرَجُل الغني يحترق في جهنّم ويطلب مَن يبل لسانه بقطرة ماء. دير زينوفون في جبل آثوس

في الماضي، كان تقاضي الفائدة على الدين مُداناً في المجتمع اليهودي، بينما كان يُحسَب جزءاً طبيعياً من المعاملات في النظام

الهليني والروماني، على الرغم من عدم قبوله بشكل كامل في الأول. وهكذا، مع أن أفلاطون أدانه معتبراً إياه أمراً «**سوقياً**»، كان يُنظَر إلى الفائدة كتعويض عادل عن الوقت والخطر اللذين يتكبدهما الدائن. فطالما أن الدائن لا يستطيع أن يستعمل المال الذي يقرضه، فالفائدة هي شكل من «الامتنان» عن الوقت لإعادته. كان «**الخطر**» يعني أن الدائن قد لا يرى ماله مجدداً وبالتالي بقدر ما يزداد الخطر تزداد الفائدة المركّبة. مع ذلك، لم يكن للوقت والخطر قيمة عند الآباء الهلينيين. كل الضمانات كانت تُعتَبَر غشاً، وكل نسبة فوق الأساس المدين كانت تشكل رباً. حتى اشتهاء واحد في المئة من الربح كان يعرّض خلاص الإنسان للخطر.

تشير عند نقطة ما من نصّها إلى تأثير تعليم آباء الكنيسة ضد الربا على الواقع، فتكتب: «المقاطع التي تظهر أنّ لاهوتيينا يخاطبون معارفاً في جماعتهم تقودنا إلى الاستنتاج بأنّهم يشيرون إلى مشكلة مرتبطة بالواقع المحيط بهم. في ما يتعلّق بعصرنا، عليّ الاعتراف بأن تأثيرهم على الواقع مستمر للسبب التالي: دائماً وفي كل جماعة أشخاص مستعدون للاستفادة على حساب غيرهم. بالتالي، أرى أن بإمكاننا أن نتعلّم ما أراد هؤلاء الكتّاب قوله عن نتائج الطمع ضمن الجماعة. تتضمّن هذه الكتابات أيضاً تأملاً في مثال اللاهوتيين النسكي حيث الأهمية الأساسية للنص هي في استنتاج المعنى الأخلاقي لتطبيقه. ختاماً، كل هؤلاء اللاهوتيين آمنوا بأنّ المال، سواء امتلكه المرء أم لا، وسواء أدانه المرء او لا، يشكّل عائقاً أمام العلاقة الفاعلة مع الله».

أما في الخاتمة فكتبَت: ﴿«فضيلة العطاء هي مسلك مستمر لا يبلغ الكمال أبداً. بحسب لاهوتيينا، مَن يعطي بدل الإدانة يبعد العوائق التي أوجدتها الخطيئة؛ العوائق التي لا تسمح للناس بأن يقيم الناس علاقات مفيدة وقابلة للحفظ مع بعضهم. المحبة الحقيقية تشتهي أن تقتسم كلّ ما تملك، بينما الطمع الحقيقي يشتهي كل شيء لمصلحته. **الربا** يمثّل بالضبط ضدّ **المحبة**، مع واجهة ظاهرها خيّر. المسيحي المهتمّ بذاته يمكن أن يؤكّد حقّه بالإدانة مع فائدة، حتى ولو كانت مركّبة ومرتفعة جداً، أولاً لأنها قانونية، وثانياً لأن المسيحي متحرر من الناموس. هذا هو نفس المنطق الذي واجهه الرسول بولس في كورنثوس حيث كان جوابه «كل شيء يحلّ لي وليس كل شيء يناسب».

للتلخيص، نظر الآباء الهلينيون إلى الربا كأمر غير أخلاقي، لا يمكن تبريره ولا ينفع. يدافع الكتّاب المعاصرون عن أنّ موضوع الربا قد مات في زماننا، على اعتبار أن كل الناس يدينون ويستدينون مع فائدة، من دون أن يفكروا بالأمر. أرجو أن يكونوا مخطئين. **الفقر منتشر عالمياً** حتى أنّ موضوع الربا يكتسب معنى لدى كل الذين يدرسون الكوارث المالية الحالية الناتجة عن ممارسات الإقراض غير العادلة. لقد أخضعت الرأسمالية صحةَ الإنسان وكرامتَه لأهداف مالية تمتد لفترة طويلة جداً. لا يثير الربا المناقشات كموضوع بل الفقر هو ما يثيرها. علينا أن نهتمّ بعمق بالشرّ الذي تسبّبه الفوائد على القروض للناس، للعائلات، للجماعات، للبلدان، وحتى لخلاص كل واحد منا، إذا كان لاهوتيونا على حق»﴾ (ص٨).

نحن نعيش في زمن يسيطر عليه الإقراض، الرسمي القانوني عبر البنوك، ويُعتَبَر أخلاقياً. يسعى الكثيرون إلى اكتساب البيوت وتعليم أولادهم وتأمين مصاريف الفرصة السنوية وغيرها... في بعض الحالات كشراء البيت، يمكن القول بأن القروض مفيدة. في هذه الحالات، يكون المجتمع العادل عوناً للمحتاج، بالطبع من دون أذية غير المحتاجين. يمكن لعلم الاقتصاد أن يوازن الأشياء، حتى تربح البنوك بشكل شرعي محدد، وفي الوقت عينه، يستفيد المحتاجون لحلّ المشاكل في حياتهم من دون أن يخسروا حريتهم. إذا تأمّن هذا بطريقة قانونية وعادلة، يمكن أن يسير بحسب مبدأ المحبة الأخوية. إلى هذا، عندما يرتبط الاقتراض بمبدأ السعي إلى اللذة والعيش السهل والرغد والبحث عن الثروة وغيرها... لا يمكن قبوله. علينا أن ندرس الأمر والأهواء التي يثيرها، إلى جانب مجمل العقلية التي ينمّيها عندما يكون فكرنا مركّزاً فقط على المال والممتلكات من دون أن يُسمَح له بالتوقّف عند الأمور الأخرى الأكثر أهمية. علينا أن نَصف المرابين الذين يستغلّون ضيق الآخرين من دون أن يتأثّروا أمام سوء أحوالهم. الأوصاف التي يعطيها الآباء لهؤلاء الناس مهمة جداً. في هذه الحالات، على مَن معهم المال أن يمارسوا الإحسان ويقدّموا قروضاً من دون فائدة لمَن يحتاجون المال لمواجهة صعوبات الحياة. إلى هذا، بحسب الواقع المعاصر، يعتَبَر اكتناز المال في البنوك ضرورة والفائدة أمر عادل وشرعي. لا يستطيع أحد أن يرفض هذه الإمكانية المنطقية، خاصة لأرباب البيوت، مع أن الموضوع الحاسم هو في النظر إلى مدخّرات البنوك في إطار هوى التملّك والبخل، وأكثر من ذلك عندما يكون **الإحسان والمحبة** محجوبين **وآمال الإنسان معلّقة على المال** و**إيمانه بحكمة الله مهمَلاً** ، عندها لا يمكن تبرير الأمر بالأخلاقية الكنسية. بالإجمال، علينا ألا نزيد «**احتياجاتنا**». لا ينبغي أن نجاهد للعيش ببذخ؛ كي لا نضطر للاستدانة لأنها تفقدنا حريتنا. الحياة المقتصدة هي حياة محترمة. إلى هذا، «**الفقير**» ليس مَن لا يملك المال، بل بالدرجة الأولى مَن لا يولّد الطلب على حاجات كثيرة ويصير مرغماً على الاستدانة من البنوك والناس، وكنتيجة يخسر حريته. نعرف الكثيرين ممن خسروا ثرواتهم وبيوتهم بسبب هذه القروض.

نمط **الحياة النسكي** الذي ينطوي على **تجنّب الرفاهية والبذخ**، يمكن أن يفيدنا في هذا المجال حتى نتمكّن من الحفاظ على حريتنا الروحية وعدم إعتمادنا على مواقف قد تخضعنا. في مجتمع رأسمالي، حيث يعيش الكلّ مع **حلم المال وعروضات تلفزيون الواقع**، وهي ما توحي به مختلف أشكال اليانصيب، **علينا أن نعيش نسكياً ونعمل بصدق وبالتالي نلتزم بكلمة الإنجيل. وعلى فكرنا أن يكون موجهاً بشكل دائم إلى حياة الإنسان ما قبل السقوط وإلى الحياة الأخروية؛ بتعبير آخر، بحسب كلام القديس غريغوريوس اللاهوتي، علينا أن نتطلّع لا نحو حالة الانقسام الطارئة بل نحو حالة الوحدة والمساواة الأصلية.**

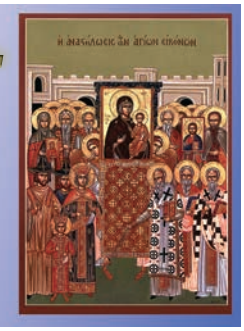

حضور الأصل في الأيقونة بالنعمة

اللّه ظهر في الجسد

حسب تعليم الكنيسة

د. ديمتريوس تسيلنغيديس
جامعة تسالونيك، جامعة البلمند

الجزء الأول

إنّ حضور الأصل في الأيقونة حقيقة كنسيّة سُجّلت في الكتابات الآبائيّة في زمن الصراع حول الأيقونة. تشكّل هذه الحقيقة جزءاً لا يتجزّأ من لاهوت الكنيسة حول الأيقونة والذي عُبِّر عنه بقوّة وسلطة المجمع المسكوني السابع ، وأكّد بهذا الشكل خبرة أعضاء الكنيسة التي عاشت ولم تزَل تعيش هذه الخبرة كونها جسد المسيح بالنعمة.

لكي نوضح حضور الأصل بالنعمة في الأيقونة علينا أن نوضح معنى الأيقونة في الكنيسة والعلاقة القائمة بين الأيقونة وأصلها. إنّ توضيح هذه العلاقة لضروريّ جداً لأنّها تشكّل الشرط الأساسي من أجل فهم الحضور بالنعمة للأصل المصوّر في أيقونته. علاوةً على ذلك، تؤثّر هذه العلاقة على المفهوم العام لتعليم الكنيسة العقائدي بخصوص الأيقونة.

إنّ الأيقونة حسب القديس يوحنا الدمشقي «هي صورةٌ أوميأوما (ομοιωμα) ومثال إيكتيبوما (εκτυπωμα) يُشار بواسطتها إلى الشخص المصوَّر». من هنا يمكننا القول إنّ التشابه القائم بين الصورة والمثال وأصلها هو أساس وجود الأيقونة، لا بل إنّه ليس للأيقونة أقنوم / شخص مستقل، ولكنّها متعلّقة بحقيقة الشخص المصوّر الذي يعطي للأيقونة قيمتها. تكوّن الأيقونة وأصلها حسب القديس نيقيفوروس بطريرك القسطنطينيّة ، حقيقة واحدة بسبب الإتحاد الأقنومي. ولكنّهما في الآن نفسه حقيقتان مختلفتان بسبب طبيعتيهما، إذْ أنّ طبيعة الأيقونة (المادة) وطبيعة الأصل تختلفان. إنّ ما تصوّره الأيقونة ليس هو طبيعة الأصل بل أقنومه أو شخصه.

إنّ الأيقونة وأصلها حقيقتان قائمتان على علاقة حميمة جداً لدرجة أنّه يَصعب فهم الواحدة دون الأخرى. الأصل هو سبب وجود الأيقونة كصورة لأصل ما ، وبدورها تفترض الأيقونة وجود أصل لها. بشكل آخر، إنّ التكلّم بأحدى هاتين الحقيقتين يفترض وجود الحقيقة الأخرى. وهكذا يتّضح لنا السبب في كون كلّ أهمية الأيقونة مشترطة بعلاقتها بالأصل.

يقول القديس ثيوذُروس الستوديتي: «نفهم هذه العلاقة كنتيجة تنبع من كيان الأصل الداخلي». وبهذا المعنى فإنّ الأيقونة تستند في أصلها لدرجة أنّ وجودها يتعلّق به. بكلام أوضح، علاقة الأيقونة بأصلها مبنيّة على التشابه القائم بين الصورة والأصل. وهكذا «صارت للمسيح المتجسّد، أيقونةٌ مصنوعةٌ بوسائل الفنّ تكون على علاقة بالمسيح بواسطة التشابه الصوري بينهما» (PG 99,417 D 7) لهذا القول أهميّة كبرى، لأنّه على أساسه تقرّر الكنيسة الأرثوذكسيّة النماذج لأيقوناتها. يجب على النماذج أن تكون متطابقة مع الأشخاص المصوّرين في الأيقونة ، وليس مع أي شخص كان من زمن الرسّام ، وذلك لأنّ الأشكال المرسومة في الأيقونة تكون دائماً على علاقة بشخصياتها التاريخيّة. بناءً على ذلك، لا تصوّر الأيقونات الأرثوذكسيّة الشخص الأصلي بأيّ شكل كان ، ولكنّها تقدّمه دائماً تعبيراً عن إختبارها التاريخي له. (ونقرأ في أعمال المجمع المسكوني السابع أن الآباء شدّدوا بقوّة على أن المؤمنين إذ قد رأوا الربّ ... رسموه كما رأوه ... وإذ قد رأوا الشهداء الذين سُفِكَ دمهم من أجل المسيح، رسموا خبرَهم)(Mansi 12 963 C.).

تصوّر أيقونات الكنيسة المسيح والقديسين ليس بأشكال مُختَرعَة، مثاليّة أم مجرّدة، بل إنّها تأخذ بعين الأعتبار الميزات الخاصّة بالشخص التاريخي وكما تتذكّره الكنيسة إستناداً على هذا الميراث الكنسي وتعبيراً عن الخبرة الروحيّة لهذا الميراث. لقد أتى **آباء المجمع المسكوني السابع بالقول الشهير**: «منَ يُعاين أيقونة يؤخذ لمعاينة الأصل». هذا يعني أنّ مشاهدة الأيقونة تقودنا إلى مشاهدة الأصل المصوَّر فيها. لذلك رأت الكنيسة أنّه لا يصحّ أن تُرسَم أيقونة على أساس نموذج غير متطابق مع الشخص الأصليّ المصوّر في الأيقونة.

(Mansi 12 1066 BC) . يتجذّر إكرام المؤمنين للأيقونة في هذه الميزة الرئيسيّة للأيقونة. يفترض قول **باسيليوس الكبير** الشهير المذكور في أعمال المجمع المسكوني السابع إكرام الأيقونة يتوجّه إلى أصلها ، أن للأيقونة علاقة بأصلها see Mansi 12 1146 A;13,69 D,337 E ، من هذه العلاقة الحميمة نستطيع أن نفهم وظيفة الأيقونة في الكنيسة. تحول الأيقونة إكرامها إلى الأصل ، فتصبح الأيقونة وسيطاً للوصول إلى الأصل. ولأنّ للأيقونة وظيفة الوساطة ، نفهم إكرامها كإكرام واحد وغير منفصل للأصل أيضاً ، كما وأنّ الشخص المرسوم هو واحد.

يختلف الأمر تماماً لو فصلنا الأيقونة عن أصلها، عندئذ كانت الأيقونة تُكرّم ككائن موجود من أجل الأمر الذي كان يقودنا إلى عبادة أصنام».

بعد هذه التوضيحات الضروريّة ننتقل الآن إلى الأسُس اللاهوتيّة التي تسمح لنا بإمكانية إدراك الحقيقة المُعاشة في الكنيسة فيما يخصّ حضور الأصل في الأيقونة.

إذا ما درسنا نصوص الآباء المدافعين عن الأيقونة للقرنين الثامن والتاسع معاً ، مع سجّلات المجمع المسكوني السابع ، نلاحظ أنّ عقيدة الكنيسة حول الأيقونة مرتبطة حتماً بالتفريق الكياني/الوجودي بين **الجوّهر** و**القوّة** الإلهيين. وهكذا تكمن هذه العقيدة في مجال اللاهوت بكل معنى الكلمة. وذلك لأنّه بهذا الشكل وحده يُدرَك مفهوم الأيقونة كحامل الألوهة أي كحامل قوّة

اللّه ونعمته غير المخلوقتين اللتين يحملهما أيضاً أصل الأيقونة. في هذا المجال يقول القديس ثيوذُروس الستوديتي بصواب: «إذا أراد أحدٌ أن يقول إنّ الألوهة حاضرة في الأيقونة ، فإنّ هذا لم يكن على عدم صواب بشكل كلّي ، ولكنّه لا يحدث على أساس إتّحاد في الجوهر.». إنّ حضور الألوهة في أيقونة الأصل المصوَّر لا يكون حضوراً بحسب الجوهر، بل كما قال القديس يوحنا الدمشقي : «بالنعمة والقوى الإلهيّة ἐνεργεία » PG 94, 1249 D . لذلك نقول: إنّ هذا الحضور هو مُنعم (نعَميٌّ) يتم بالنعمة. وهنا يتراءى لنا بشكل بديهيّ أنّه يجب التفريق بين الجوهر الإلهيّ والقـوّة الإلهيّة. هكذا ، وبشكل غير مباشر ، تُعلن الكنيسة ثبات لاهوتها بخصوص التفريق بين الجوهر غير المُدرَك وغير المشارَك وبين قوّة اللّه ونعمته المُدرَكتين واللتين تتفاعلان مع العالم المخلوق من أجل تقديس الخليقة ومن أجل تأليه الإنسان، وهذا ما تؤيّده الكنيسة جهاراً في شخص القدّيس غريغوريوس پالاماس.

وقفت الكنيسة اللاتينيّة بوضوح ضد رأي القديس ثيوذروس الستوديتي، الذي هو رأي الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة جمعاء ، عند مجمع نريانت (١٥٤٥-١٥٦٣).

إنّ الموقف الكاثوليكي هذا مبنيٌ بلا ريب على فرضيّاتها اللاهوتيّة الخاطئة .

يحاول رسمُ الأيقونة المتّفق مع لاهوت الكنيسة أن يجعل حضور النعمة غير المخلوقة وقوّة اللّه غير المخلوقة في الأيقونة أمراً ملموساً لأعضاء الكنيسة المتألّهين، وذلك من خلال وسائل فنيّة خاصّة. وهكذا، فإنّ الأيقونة الأرثوذكسيّة تعكس حقيقة الشخص المنتمي إلى «الخليقة الجديدة». تسعى الأيقونة إلى أن تصوِّر في نفس الوقت تاريخيّة الشخص المرسوم وحضور النعمة الإلهيّة فيه. هكذا نفهم أنّ رسم الأيقونات ليس بفنّ مقدّس بحت ، بل أيضاً هو لغة من لغات اللاهوت التي لا يعبِّر بواسطة الأحرف والكلمات ، بل من خلال أشكال وألوان. بكلام آخر ، إنّ الأيقونة الأرثوذكسيّة لا تصوّر بتقَنيّاتها شخصاً منزّهاً عن المادة /الهيولي ، بل تصوّر الإنسان المتجلّي والمتألّه وتُظهر بهذا الشكل خبرة الشخص المصوَّر في اشتراكه بالنعمة المؤلِّهة التي للّه المثلث الأقانيم.

حسب عقيدة الكنيسة حول المسيح ، تُعتبر المادة الملموسة شيئاً مهمّاً قابلاً لأن يتحرّر من **الخطيئة والفساد** وأن **يتجدّد** ، **يتجلّى ويتألّه** ، والأيقونة الأرثوذكسيّة تصوِّر تماماً هذه الحالة من التجلّي التي هي أيضاً الخلود والحريّة في المسيح. وليس من قبيل الصدفة أنّه في زمن إعلان تعليم القديس غريغوريوس پالاماس بواسطة مراسيم مجمعيّة كانت تُرسم خصوصاً أيقونة تجلّي المسيح. وهذا لأنّ أيقونة التجلّي تؤكّد تجلّي كلّ مؤمن في إطار الحقيقة الجديدة التي في المسيح. (بحق قال رئيس دير استافرونيكيتا غونتيكاكس: "إنّ الأيقونة الأرثوذكسيّة لشهادةٌ لإنتصار ربّ الحياة على الموت ... وقوّتها هي **قوّة القيامة** ").

إنّ هذا الواقع الجديد في المسيح هو واقع أخروي تأتي فيه الأمور الأخيرة، أي السيادة غير المخلوقة وملكوت اللّه بشكل عربون.

فأظهرت مجدك لتلاميذك حسبما استطاعوا . .

تلك الأمور الأخيرة التي دخلت إلى التاريخ بواسطة أعمال يسوع الخلاصيّة والتي تُعاش في أسرار الكنيسة كإتحاد بالنعمة وكتجلّي المخلوقات بغير المخلوقات ؛ تلك الأمور الأخيرة تعبّر عنها الكنيسة الأرثوذكسيّة بصواب في فنّ رسم الأيقونات.

يصوِّر قدّيسو الكنيسة في إطارهم التاريخي المخلوق دون إغفال تصوير وقائعهم الجديدة في الملكوت كما ظهرت وكما عاشوها في الزمن الذي وُجدوا فيه والذي يُصوّر في الأيقونة. إنّ الحقيقة المتجلّية كما تقدّمها الكنيسة ليست فقط وسيلةً منيرةً لتوجيه المؤمنين إلى الأمور الأخيرة، بل هي تعبّر أيضاً عن الخبرة الحيويّة للأمور الأخيرة في وسَط الجماعة المصلّية كعربون واستباق للحياة الآتية وللملكوت الآتي طبعاً. هكذا نفسّر أيضاً رسم أيقونات الظهورات الإلهيّة المذكورة في الكتاب المقدّس وكلّ تلك الأحداث التي ترمز إلى إتمام العام وإلى مجيء المسيح الثاني المجيد. ونحن نعيش كلّ هذه الأحداث داخل الزمن الليتورجي للعبادة وخصوصاً في الإفخارستيّا المقدّسة.

نستطيع أن نقول بعزم إنّ للأيقونة الأرثوذكسيّة طابعاً أخروياً بمقدار ما هي تعبّر عن الوقائع الأخرويّة بكل معنى الكلمة ، أي عن إتحاد المخلوقات بغير المخلوقات دون إختلاط ، بالشكل الذي يحصل في الإجتماع الإفخارستيّ. ونقدر أن نقول بشكل أدَقّ إنّ الأيقونة الأرثوذكسيّة تصوِّر الوجود الأخروي للشخص المصوَّر ، أي تصوِّر شخصاً ممجّداً بواسطة القوة الإلهيّة غير المخلوقة إلى أن يصير جسده روحيّاً. نقول أنّ هذه القوّة المؤلّهة التي تنبع من الثالوث والتي تتراءى حسب خبرة الكنيسة بشكل نور غير مخلوق يسعى الرسّام الأرثوذكسي للأيقونة ليعبّر عنها في رسمه ليس فقط بواسطة رسم الهالة ، بل أيضاً في رسم النّور المميّز الذي يضيء به الرسّام أيقونته. إنّ هذا النور المنبثق من داخل الأيقونة ، هو متحرّر من أي قانون للطبيعة التي تأمر باتّساع تدريجي للنور. إنّ الرسّام الأرثوذكسيّ للأيقونة يقلّل الظّلال التي تفرض على الرسّام قوانين الطبيعة إلى مقياس صغير جداً ويُبرز بهذا الشكل الإنخطاف الأخروي للشخص المصوّر. ومع أنّ الأيقونات الأرثوذكسيّة تعبّر عن الخصائص التاريخيّة للشخص المرسوم، فإنّها تجرّب أيضاً تصوير هذا الشخص كمواطن للملكوت وذلك بواسطة إنارتها المميّزة. هكذا نثبّت أنّ في رسم الأيقونات الأرثوذكسيّ ينعكس **لاهوت النّور**.

«ملاحظة: في اللاهوت الأرثوذكسي اللّه نور وكلّ حيّ يحيَ ويتحرك ويتطوّر ويكتمل بمقدار استيعابه لهذا النّور وبفضل إضاءه عليه ... لا يوجد في الأيقونات الروميّة (البيزنطيّة) الظل، ولا رسم المنظور ، ولا الأشياء بشكلها الناقص؛ يتغيّب عن الأيقونة كل توتر بين النّور والظلمة. يضيء كامل النّور بسلام على ما يوجد ويستحقّه. الرسام الأرثوذكسي ، الذين يسلكون حسب عقيدة الكنيسة ينجحون في وصف علاقة الفيزياء بما وراء الفيزياء».

يتبع في العدد القادم

المحبّة في المفهوم المسيحي

بحسب تعليم آباء الكنيسة

١) ـ السمات الأساسيّة للمحبة :

✚ التقدم في الطريق الروحي ليس له في الواقع العملي إثبات آخر باتٌ وتعبير أفضل من أنه هو نمو قدراتنا ، دونما توقّف عند حدٍّ ، على أن نحب حبّاً باذلاً لا يتوقّع أي تكريم، حبّاً حاراً نزيهاً لا يتطلّب أن يُرَدَّ له العوض، حبّاً يتسم بتعاطف يجعلنا نخرج عن أنفسنا ونندمج مع الآخر ونشاركه أحاسيسه. إنه القدرة على اكتشاف أن للآخر عمقاً داخلياً سرّياً كما يلي، ولكنّه متمايز لأنّ اللّه أراده كذلك.

✚ في العالم الساقط تمزّقت وحدة البشر، والكل يتصارع ليُغالب الفناء. وأنا كإنسان أحاول أن أتخلّص من القلق الذي يعصرني بإلقائه على الآخر الذي يصير هو بدوره كبش الفداء لإنحصاري المأسوي الذي يجعلني أنظر للآخر وكأنّه عدوي. ولكن في المسيح قد تحوَّل جحيمي الداخلي إلى كنيسة فيها اللّه والقريب معاً، ولم يَعُدْ لي بعد من عدو، ولا يكون إنفصال بين ذاتي والآخرين. فحقيقة العمق الروحي تتبين بدقة في محبّة الأعداء بحسب الوصيّة الإنجيليّة التي تتعارض مع المنطق البشري ، والتي لا تتخذ قوّة معناها إلاّ بصليب المسيح وقيامته اللذَيْن عندما يسريان فينا يَمُدّاننا بقوّة تمكّننا من تنفيذ هذه الوصيّة.

﴿ رأيتُ يوماً ما ثلاثة رهبان أُهينوا معاً، فالأوّل إغتمَّ بشدّة وتنغّص، ولكنه سكت. والثاني تقبَّل الإهانة لنفسه بفرح ولكن حَزِنَ على مَن أهانه. أما الثالث فلم يفكّر إلاّ في خسارة قريبه الذي أساء إليه ففاضت عيناه بالدموع من فرط شفقته عليه. فالأوّل كان الذي يحكم تصرّفه المخافة، والثاني الرجاء في الثواب، والثالث المحبّة.﴾

سلّم السماء
للقديس يوحنا كليماكوس

✚ الأعجوبة الحقيقيّة بالغة الصعوبة هي، إذاً، تكمن في تحقيق مثال المحبّة العمليّة بالمفهوم الروحي الإنجيلي لهذه الكلمة: «الأغابي» أي محبّة الآخر من خلال محبتنا للّه.

✚ الدخول في علاقة صميميّة مع اللّه هو في الواقع: الإنقياد الواعي لحركة محبته الإلهيّة الفائقة التي تنسكب فينا بالروح القدس من خلال إيماننا بالمسيح ، والتي توحي إلينا أنّ الآخر ـ وهو كلّ إنسان أيّاً كان ـ هو «قريب» لنا قرابة صميميّة تفوق الأنساب الجسديّة بكثير.

✚ العلاقة بهذا «القريب» هي التلاقي مع المسيح الذي جعل ذاته في كلّ إنسان يتألّم: المنبوذ، والمسجون، والشريد ـ كما يُذَكّرنا بذلك مشهد الدينونة الأخيرة في الإنجيل : «كنتُ جوعاناً فأطعتموني ، كنتُ عطشاناً ... كنتُ عرياناً ... كنتُ مسجوناً ... الحقّ أقول لكم: كل ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت٢٥: ٣٥–٤٠).

✚ المحبّة «الأغابي» تعلن لنا أن كل إنسان، وعلى وجه أخص كل إنسان يتألّم، هو سرّ المسيح، هو «مسيح آخر»، كما يقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم. فالإنسان جُبِلَ ليكون على علاقة صميميّة باللّه الواحد المثلث الأقانيم.

قول للقديس باسيليوس الكبير:

﴿بعد أن أعطانا الربّ هذه البذار الحيَّة وألقاها في قلوبنا، يأتي ليطلب الثمار فيقول: «وصيّة جديدة أعطيكم: وهي أن تحبّوا بعضكم بعضاً» (يو١٣:٣٤). فالربّ إذ يريد أن يستحث نفوسنا على مراعاة هذه الوصيّة، لم يطلب من تلاميذه برهاناً على أمانتهم له وإيمانهم به: لا اجتراح عجائب، ولا إجراء معجزات خارقة ـ مع أنّه سبَق فأعطاهم بالروح القدس القدرة على عمل ذلك. ولكن ماذا يقول لهم؟ «سيعرف الجميع أنّكم

القديس باسيليوس الكبير

القديس يوحنا السلمي

تلاميذي بالمحبّة التي ستكون لكم نحو بعضكم البعض.» (يو١٣: ٣٥).

وهكذا يوحِّد الرب بين هاتين الوصيتين (محبة اللّه ومحبة القريب) بأن يجعل كل ما يُحْسَن به للآخرين أيّاً كانوا (ولا سيما المحتاجين) يعود عليه هو نفسه. فيقول: «كنتُ جوعاناً فأطعمتموني ...» ثم يضيف: «كل ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الآصاغر فبي فعلتم» (مت٢٥:٣٥–٤٠). وهكذا بمراعاتنا للوصيّة الأولى يمكننا أن نراعي الثانية ، وبتطبيقنا عملياً للثانية

نعود للأولى: فمحبّتنا للرب، هي بالتالي محبّة للقريب، فالرب يقول: «الذي يحبّني يحفظ وصاياي» و «وصيتي هي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم.» (يو١٤:١٥ ؛ ١٣:٣٤).

(عن قوانين القديس باسيليوس الكبير)

BASILE DE CESARES *Granades Regles 3,1 et2 (PG 30 - 340)*

✚ فكرة الأشعة المنبعثة من وسط الدائرة: فالأشعة تبدو متفرّقة كلّما ابتعدت عن المركز ، وتتجمّع وتتقارب بقدر اقترابها من المركز الذي هو اللّه. في هذا التشبيه تمثيل مُبدع لشرح علاقتنا بالقريب، فانكشاف حقيقة الآخر كذات أو نفس حيّة لا يمكن أن يُستعلَن لنا إلاّ من خلال علاقتنا الصميميّة باللّه.

قول للقديس دوروثيوس - من غزّة :

﴿هذه هي طبيعة المحبّة: بقدر ابتعادنا عن المركز (في مَثَل الدائرة) فهذا يعني أنّنا لا نحب اللّه ، وبنفس القدر نتباعد عن القريب. ولكن إذا كنّا نحبّ اللّه بالحقّ فإنّنا نقترب إليه بالمحبّة. وبالتالي نجد أنفسنا متآلفين في حبٍّ حقيقيّ للقريب.﴾

DOROTHEE DE GAZA: *Istructions* (SC n° 92 p. 286)

✚ نحن جميعاً «أعضاء» جسد المسيح السرّي، كما يقول القديس بولس: «أعضاء بعضنا لبعض». وحدة بشريّة متشاركة في الجوهر الواحد، وكأنّها في الواقع إنسان واحد. وفي هذا «الجسد غير المحدود» تسري المحبّة كدمٍ إلهي ـ بشري.

من مجموعة أقوال الآباء :

﴿ قال شيخ راهب: قضيتُ عشرين عاماً أجاهد لكي أنظر إلى جميع الناس وكأنّهم إنسانٌ واحدٌ.﴾

✚ هذه الوحدة المنجمعة والمتكاملة في المسيح لا تتحقّق إلاّ بالروح القدس الذي يومىء إليه التقليد منذ عصر الرسولَيْن بولس ويوحنا بأنّه روح «الشركة» ، وروح الشركة هذا هو الذي يكشف للبشريّة عن سرّ وحدانيّة الثالوث الأقدس ويدعو البشريّة إلى المشاركة فيه.

قول للقديس غريغوريوس النيصي :

﴿ عندما تستبعد المحبةُ الكاملة المخافة أو عندما تتحوّل المخافة إلى محبّة ، عندئذ كل من سيشملهم الخلاص سيكونون في وحدة متوافقة، ينمون معاً بنفس الكمال الإلهي الواحد. حيث سيحس الجميع أن كل واحد منهم هو في الآخر، وأنهم كلٌّ واحد كائن في الروح الإلهي الواحد ... وإذ تربطهم وحدة الروح القدس وتحتضنهم كأنها برباط السلام، سيكون الجميع جسداً واحداً وروحاً واحداً ... ولكن الأفضل هنا أن نقتبس كلام الإنجيل حرفيّاً: «ليكون الجميع واحداً كما أنّك أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا» (يو١٧:٢١). واستنباطاً من كلام الرب هنا يمكنا أن نقول: إن رباط الوحدة هو المجد، وهذا المجد هو الروح القدس، وكل مَنْ على دراية بلغة الكتاب المقدّس سيفهم معنى ذلك إذا ما انتبه إلى قول الرب: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو١٧:٢٢). وفي الواقع ، هو منحهم حقيقة هذا المجد عندما نفخ فيهم وقال:«إقبلوا الروح القدس» (يو٢٠:٢٢) ﴾.

GREGOIRE DE NYSSE, *Quinzieme Homelie sur le Cantique des Cantiques* (PG 44,1116)

القديس دوروثيوس - غزّة

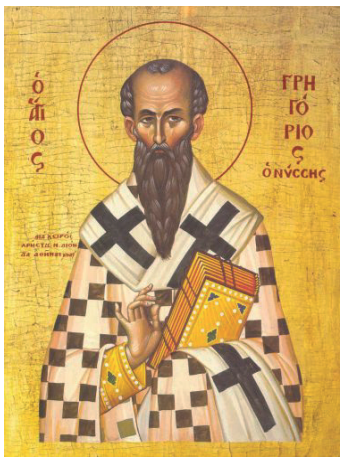

القديس غريغوريوس النيصي

✚ الإنسان الذي تقدّس لا يعود بعد منفصلاً أو منعزلاً عن الآخرين. وبقدر ما يعي جيّداً أنه لن يَعُد منعزلاً في شيء أو مفترقاً من أحد، بهذا المعيار فقط يعرف أنه سائر في طريق القداسة. إنه يحمل في نفسه البشريّة جمعاء، كلّ الناس بآلامهم وقيامتهم دونما تفرقة بين إنسانٍ وآخر ..

✚ إنّه في المسيح يتّحد بـ «آدم في معناه الشامل الكلّـيّ ـ أي الطبيعة البشريّة كلّها». ذاته لا تعود مهمة بعد. إنّه يحتوي كل النّاس في صلاته، وفي حبّه، دون أن يقضي على أحد أو يدين أحداً إلاّ نفسه وحدها، ويحسب نفسه دائماً آخر الكلّ.

✚ إنّ قلبه ينجرح للغاية من أجل قباحة العالم، ومن أجل مآسيه التي تتزايد دائماً عبر التاريخ، وإذ يحسّ أنّه منسحق مع المسيح يستشعر أيضاً أنّه يقوم معه ومع الكلّ، فيتحقّق أنّ القيامة هي التي ستسود أخيراً، وأن فرحة القيامة ستغلب كلّ سلبيات الدنيا.

القديس مكاريوس الكبير

قول للقديس مكاريوس الكبير :

﴿الذين إستؤهلوا أن يصيروا أبنـاءً للّه، وأن يولدوا من فوق من الروح القدس ... قد يحصل لهم أن يبكوا ويحزنوا على سائر الجنس البشري، وتجدهم يتوسّلون إلى اللّه من أجل آدم وكل نسله، ساكبين الدموع الحارّة، مضطرمين بحبّ روحي عميق من أجل كلّ البشريّة. وأحياناً أيضاً تتأجّج روحهم بفرح غامر وحب شديد ، حتى أنهم يودّون ـ لو كان ذلك ممكناً ـ أن يأخذوا كلّ الناس ويضعوهم في قلبهم، دون أن يفرّقوا بين أردیائهم وصالحيهم. ثمّ أحياناً أخرى من فرط إتضاع الروح، ينحنون

تكريماً أمام كل إنسان، إذ يعتبرون أنفسهم آخر وأدنى الكل. ثم بعد ذلك يجعلهم الروح القدس من جديد يحيون في فرح يفوق تعبير اللسان﴾.

✚ حياتنا وموتنا الروحيان لهما دورٌ كبير في علاقتنا بالآخر. قال أحد القديسين، بناءً على خلاصة تعليم الإنجيل: «في اليوم الأخير سنُحاسَب على المحبّة (تنفيذاً أو تقصيراً)».

قال القديس أنطونيوس الكبير:

﴿الحياة والموت مرتبطان بعلاقتنا بالقريب (أي كل إنسان). فإذا ربحنا أخانا (وعلى الأخص المتخالف معنا) ربحنا اللّه، أما إذا أعثرنا أخانا فإنّنا نخطىء إلى المسيح.﴾

Apophtegmes, Antoine, 9 (PG 77)

✚ لكي نجد دالة وثيقة عند اللّه ليس لنا طريق آخر سوى الرحمة، أو ما يسمّى في اليونانيّة (سيمپاثي) وهي تعني: إتّساع القلب وقدرته على مشاركة الآخرين آلامهم وأحاسيسهم.

✚ إنسان ليس لديه رحمة، ولا يتوجّع لمحن الناس قد وضع حائلاً بينه وبين اللّه.

قول للناسك بامو:

﴿سأل أبًّا ثيودور الفرمي أبًّا بامو: «قل لي كلمة (أنتفع بها روحيّاً)». فبالجهد قال له: «ثيودور إذهب وليكن عندك رحمة حانية على الكلّ، لأنّ الرحمة تعطينا أن نتكلّم بدالة مع اللّه.»﴾

Apophtegmes, pamo, 14 (PG 65,37)

✚ فرحمة الإنسان على كلّ النّاس تؤدي حتماً إلى الإتحاد بحنان اللّه نفسه الذي يُبْديه نحو العالم.

القديس غريغوريوس النيصي يتكلّم عن حنو اللّه وإحساسه بآلام البشر وعن مشاركة اللّه الإنسان في عواطفه وأحاسيسه.

يقول باسكال: «سيظلّ المسيح يعاني أشدّ الآلام حتى نهاية العالم».

القديس أنطونيوس الكبير

القديس إسحق السرياني

قول للقديس إسحق السرياني:

﴿إذا أردت أيها الأخ نصيحة فائقة جداً فإليك بهذه النصيحة: ليكن معيار الحنان لديك في إرتفاع دائم إلى الحد الذي فيه تحسّ في قلبك بحنان اللّه نفسه نحو العالم.﴾

ISAAC LE SYRIEN:, Traite Ascetiques, 34 traite (ED, Spanos, p.151)

✚ الرحمة الإلهيّة الواجب بأن نكون عليها: هي أن نحب النّاس إلى الحدّ الذي فيه نكون مستعدّين ولو حتى أن نكون محرومين من خلاص أنفسنا نحن إذا كان في ذلك خلاص لهم، كما التَمَسَ ذلك بتوسّل شديد موسى النبي والقديس بولس الرسول.

قول للقديس إسحق السرياني:

﴿هذه هي العلامة المميزّة التي فيها نعرف أولئك الذين بلغوا إلى الكمال المسيحي: إنهم إذا أسلموا أنفسهم للنار عشر مرّات في اليوم من أجل محبّة الناس، لا يروون غليل حبهم. وهذا ما قاله موسى النبيّ للّه: «إن غفرت خطيّتهم. إغفرها لهم. وإلاّ فامْحُني من كتابك الذي كتبت» (خر٣٢:٣٢). وهذا ما قاله المغبوط بولس: «فإنّي كنتُ أودّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي ...» (رو٩:٣) ... بل إن الرب الإله نفسه في محبّته للخليقة، أسلم ابنه وحيده للموت على الصليب: «لأنّه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل إبنه الوحيد» (يو٣:١٦)... وهكذا القديسون المتمثّلون باللّه قد سكبوا على الكلّ من فيض حبّهم.﴾

ISAAC LE SYRIEN:, *Traite Ascetiques*, 81 e traite (p.307)

يتبع في العدد القادم

شيطان النصيب الأكبر

إنتهى القديس مكاريوس الكبير من قطع الخُوص وجعله في كومة كبيرة، وحمله على كتفه إلى قلايته ...

وفي الطريق قابله راهب إستوقفه، ولقد ظنّه القديس واحداً من أبنائه المنتشرين في البريّة .. وبادره الراهب قائلاً:

ـ أعطني جزءاً من الخُوص الذي قطعته يا أبي ..

وبسرعة أنزَلَ القديس مكاريوس الخوص إلى الأرض ..

ـ خُذ ما شئت يا إبني، خُذ ما يكفيك ..

ـ بل أعطني أنتَ يا أبي ..

عندئذ قَسَّم القديس مكاريوس الخُوص إلى كومتين فنتج عن التقسيم كومتين، إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة .. ودون أن ينبث بكلمة حمَل الكومة الأصغر، تاركاً النصيب الأكبر للراهب السائل! فعَلَ هذا في محبّة فائقة، محبّة لا تطلب ما لنفسها!

العطاء أكثر غبطة من الأخذ

ودهش القديس مكاريوس، إذ رأى الراهب يحترق كالدّخان فعَلِمَ أنّه شيطان ظهرَ في شكل راهب، فبادره في شجاعة قائلاً: ـ مَن أنتَ ؟

ـ قال له أنا **شيطان النصيب الأكبر**.. ويلاه منك يا مكاريوس ... لقد غلبتني!

ومضى مكاريوس في طريقه .. **فقد انتصرت المحبّة وارتفعت جداً ..**

أسلفنا القول أن عرش جلال اللّه المثلث الأقانيم في ملكه السماوي تحيط به حشود الملائكة أقربها إلى عرش اللّه نجد الكيروبيم والسيرافيم. ثمّ تتبع ذلك ملائكة العروش، والرياسات، والسلاطين، والقوات، والرئاسات (Virtuse) ، ورؤساء الملائكة والملائكة. وهذه هي الأجواق الملائكيّة التسع كما تحدّدها تقاليد الكنيسة وجميعها تتقدّم للّه بالتسبيح ...

إن الكيروبيم هي المخلوقات الأربعة الحيّة، وقد وردت ترجمتها في العربية في سفر الرؤيا ، «الحيوانات الأربعة» ، وهي تحيط على الدوام بالعرش وقد وُجدت أصلاً لتعلن قوّة اللّه ، وهي تحرس العرش تماماً كما يصفه الكَتاب: حراسة باب الفردوس بواسطة السيف الناري المتقلّب ، وكأنّه ومضات البرق. إن الكروبيم هم حملة العرش كما ورد في صلاة حزقيا الملك:

«أيها الرب إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم» (٢ملوك ١٩:١٥). إنهم المركبة التي تحمل عرش اللّه، كما رآهم حزقيال في رؤياه ... «ومجد إله إسرائيل صعد عن الكروب الذي كان عليه» (حزقيال ٩:٣).

وهكذا فالكروبيم هم في حضرة اللّه المباشرة وهم جزئياً يكوّنون عرش اللّه. ولهم المقدرة التي لا يتصوّرها العقل. فهُم يستطيعون أن يحملوا الإله السرمدي الجبّار ، ذلك لأنّه، كما يقول كاتب المزمور عن الخالق ، الربّ الإله ... «ركب على كروب (الشيروبيم) وطار . وطار على أجنحة الرياح» (مز١٨:١٠).

وبدون الكروبيم، يصبح عرش اللّه ناقصاً، ومجد اللّه غير كامل، ذلك لأن الكروبيم هم جزء مكمّل للعرش، وفي قدس الأقداس، حيث يسكن اللّه متربعاً على عرشه، نرى صورة الكروبيم على تابوت العهد ـ وللكروبيم القوة العظمى والمقدرة الفائقة. إنّهم يحيطون بعرش اللّه كسهام ناريّة وجبال من النّار المشتعلة ...

أما السرافيم فمكانها فوق عرش اللّه، إنهم ملائكة المحبّة الذين ليست لهم صورة جسميّة بالمفهوم الأرضي ، ولكن لهم أجساد سماويّة لا يحدّها المكان، ولا الزمان. إنّهم يَمثُلون أمام الإله في ملء قداسته. ولذلك فهم في خشوع، يغطّون وجوههم، وأقدامهم بأجنحتهم. أما وضعهم فنستطيع أن نقول بأنّهم يهفّون، أو يرفرفون. لأنّهم يحومون في طيرانهم: كائنات ملائكيّة مُشعّة، نيرانها المتقدة، لها صورة المجرى الناريّ المتدفّق...

وفي حركات السيرافيم. نستطيع أن نُصغي إلى نغمة تسبيح جبّارة ، فإذ تأخذهم عظمة اللّه وقداسته فإنّهم يمجّدونه ، ويُعلنون عظمته ، منادين أحدهم الآخر بالتسبحة ... «قدّوسٌ قدّوسٌ ، قدّوسٌ ربّ الجنود ، مجده ملء كلّ الأرض» (أشعياء ٦:٢).

وتعبّدهم هو بهذا القدر من القوّة ، حتى إنّ الهيكل يمتلىء بالدخان ، وتهتز أساسات العتب. فالكلمات التي بها صوّر لنا أشعياء منظر التعبّد الرهيب توحي بأنّها كالزلزلة التي تهزّ الأرض، كما يقول: «فاهتزّت أساسات العتب من صوت الصارخ، وامتلأ البيت دخانا» (أشعياء٦:٤).

هذا هو تأثير تسبحات السيرافيم حينما تمجّد اللّه.

واللّه محاط بهذه الرسل الملائكيّة المجيدة ، التي يتجسّم فيها البهاء، والجلال ، والجمال ، والمقدرة ، وهو في نفس الوقت ، حينما تحيط به هذه الكائنات يصبح خفيّاً عن أعين البشر وكأني بالسيرافيم ـ يشكّلون سحابة مع الملائكة الأخرى ، تحيط بالأله القدّوس ، وتُخفيه عن الأنظار . أما التعبّد فيتصاعد مثلما يتصاعد الدخان من ألسنة اللهيب ، والطغمات الملائكيّة ، على هذا النحو ، تقدّم لنا تفسيراً للقول الوارد عن اللّه، إنّه نارٌ آكلة لا يستطيع أحدٌ أن يدنو منه، كما ورد عنه ، القول: ... «عند اللّه جلالٌ مُرهب» (أيوب٣٧:٢٢)، ذلك لأن رؤساء الملائكة الرفيعة المحيطة به هي كشعاعات النور اللامعة.

ويصوّر لنا سفر الرؤيا ، تعبّداً سماوياً في حضرة اللّه الخالق ، وفي حضرة الحمل العظيم (رؤيا ٤،٥) ففي بهاء مجد رفيع ، يتربّع الإله الجبّار العظيم على عرشه ، يحيط به الأربعة والعشرون شيخاً المتسربلون بالثياب البيض ، وعلى رؤوسهم الأكاليل الذهبيّة .

وحول العرش ، نرى الحيوانات الأربعة الحيّة ، أو المخلوقات الأربعة الحيّة ، التي لها أجنحة الكروبيم ، والتي هي أبهى وأمجد كائنات اللّه المخلوقة. وهي تجمع في كيانها كلّ كمالات الحياة المخلوقة. إنها مثال للخليقة التي تنال نتيجة وجودها في حضرة اللّه أكمل الإعلانات عنه، ولقد هيّأهم خالقهم ، الإله الأزلي ، والذي فيه ملء نبع الحياة الأبديّة ، ليكونوا شركاء في هذه الحياة الفائضة ، وهكذا في هذه المخلوقات الأربعة ، يتمثّل كمال خليقة اللّه حول العرش في تقديم تعبّدها للقدير، بينما ألوف الألوف من الملائكة تمجّد اللّه ، مُعلنة له ملء الحياة الإلهيّة ...

إنّ ربوات الربوات من الملائكة تتعبّد أمام عرش القدير. ومن بينها «السبعة ملائكة الذين يقفون أمام اللّه» (رؤيا٨:٢)، والذين يرجّح بأنّهم رؤساء الملائكة ، والكتاب يذكر منهم رئيس الملائكة ميخائيل، وهو واحد من الرؤساء في دائرة الملائكة (دانيال١٠: ١٣)، والذين عُيّنوا لرعاية شعب اللّه (دانيال١٢:١) ، ولقد وردت الإشارة أيضاً إلى جبرائيل الواقف قدّام اللّه (دانيال٨:١٦و لوقا١ :١٩). وفي سفر طوبيت ، (٣:١٧) يَرِد إسم الملاك رفائيل.

يتبع

لأولئك الذين يحبّون اللّه

الأب : انتوني م. كونيارس

تحكي إمرأة عن رؤيتها لواحد من أولئك المثابرين على القليل من شأن المصادمات والتوترات في الوقت المضبوط فتقول: «في صباح أحد الآحاد وبينما كنّا نَقُود العَربة عائدين من الكنيسة إلى المنزل ، فإنّنا وصلنا إلى قطعة صغيرة من الأرض كانت تُرَمَّم للبناء ، وكانت تجبر حركة المرور على السير في ممر ضيّق ، وفجأة وإذ بواحد من السائقين ينطلق بسرعة كما في سباق ، ويقطع الطريق على شاحنة حتى كاد يتسبب في حادثة. لم يحاول سائق الشاحنة أن يزاحمه ولم يُدَوِّ بصوت آلة التنبيه ولا أخذ يصيح بأعلى صوت من نافذة الشاحنة ، ولكنه ببساطة أفسَحَ الطريق أمام السائق الأناني. هذا كلّه حدث بينما لَمحنا في الزجاج الخلفي للشاحنة أفضل مُلصَق ليعبِّر عن هذا الموقف المُعيب: **(اللّه يحبّك .. أمَّـا أنا فأحاول .. !)**.

إنّ مفتاح الآية: (رو٨:٢٨) هو محبتنا للّه. «إنّنا نعلم نّ اللّه يعمل في كلّ الأشياء للخير لأولئك الذين يحبّونه».إنّ هذا الوعد الإنجيلي ليس هو لكل أحد. إنّه مشروط ، **إنّه فقط لأولئك الذين يحبّون اللّه.**

وعدٌ مشروطٌ :

إنّه يصبح من المعقول أن اللّه قادر أن يعمل بعض الأشياء لأولئك الذين وضعوا حياتهم تحت عنايته ، بينما هو غير قادر أن يعمل لأولئك الذين يعيشون بحسب هواهم الشخصي ، ويبدو واضحاً بصورة كاملة أنّ اللّه يقدر أن يعمل مع الشخص الذي أصبحت حياته خاضعة تماماً للإرادة الإلهيّة ، وبطريقة لا تجعل اللّه قادراً أن يعمل مع الشخص الذي يلتوي ليعمل ما يسرّه. إنّ اللّه لا يفرض نفسه على أولئك الذين يرفضونه. إن الآباء المحبّين الذين يريدون أن يقودوا أولادهم بحسب أهداف حكمته ، والذين هم مستعدّون دائماً أن يساعدوهم ، هؤلاء يصيرون غير قادرين أن يعملوا أي شيء لأولئك الأبناء الذين يرفضون مساعدتهم. ولكن إن وضعت يدك بالإيمان في يد اللّه باستمرار معه ، عندئذ فإنّه سوف يستخدم جميع الخبرات والتجارب وأحداث حياتك ، سواء أكانت سارّة أم غير سارة لأجل خيرك. يلزمنا أن نتذكّر هذا عندما نصلّي ذلك التوسّل الجميل في القدّاس الإلهي: «الصالحات والموافقات لنفوسنا ... من الرب نسأل». اللّه سوف يستخدم جميع خبرات الحياة لأجل خيرنا ، لأجل نفعنا كما نصلّي في القدّاس ، ولكن على شرط أن نحبّه ونتعاون مع إرادته.

السؤال الهامّ :

وبهذا، فإنّ السؤال الكلّي الأهميّة الذي يطرح نفسه هو: **هل أحبّ اللّه ؟ وكم إحبّه ؟** وهل أحبّة كما يأمرني الإنجيل من كلّ القلب والفكر ومن كلّ النفس والقدرة ؟

عندما يحبّ الإنسان اللّه حقّاً ، عندئذ فإن كلّ الوصايا سوفَ تتَمّم ، وبخصوص هذا يقول المغبوط أغسطينوس: ﴿أحبب اللّه وافعل ما شئت﴾، لأنّك إن أحببت اللّه ، فإنّك سوف تعمل إرادته في كلّ شيء. يقول الواعظ فينيلون: «إنّ الرغبة في محبّة اللّه هي كل الديـــن» ، ويمضي جوته قُدُماً ليقول: «نحنُ نشكّل ونُكَيَّف بما نحبّه». إن كنّا نحبّ اللّه حقّاً ، فسوف نكون مثله.

في الرواية التي تسرد تاريخ حياة إرفنج ستون النحّات النابغة والمعلّم يقول لمايكل أنجلوا الصبي الصغير الطموح: «إنّ التخصّص في مهنة مُكلِّفٌ جداً ، سوف يكلّفك حياتك كلها ، أمَّا مايكل أنجلو فإنه ببصيرة نافذة يُجيب: (ولأي شيء آخر تكون الحياة؟)». يمكننا ألاّ نوافق مايكل أنجلو، إن الحياة هي أكثر من أن نُخصّص أو توقَف لأشياء، الحياة هي للمحبّة ، لمحبة اللّه بكل القدرة والقوّة والقلب والنفس ولمحبة الآخرين كالنفس. هذه هي الوصيّة الأولى والعظمى وليست وصية أعظـم منها. يقول المغبوط أغسطينوس: ﴿ إنّ مَن لا يحب المسيح فوق الكل ، لا يحب المسيح أبداً ﴾. ويبقى السؤال الأهم بما لا يُقاس فيما يتعلّق بالحياة: **هل أحبّ المسيح فوق الكل ؟**.

هل تحبّ اللّه ؟ :

سأل شخصٌ ما أصدقاءه إن كانوا يحبّون اللّه ، فأجابوه: نعم نحن نفعل ذلك. ولكن عندما ضَيَّقَ الخناق عليهم بالسؤال: كيف يحبّون اللّه ؟ لم يستطيعوا الإجابة ، وطلبوا مزيداً من الوقت للتفكير. لقد كان هؤلاء الأصدقاء يدَّعون أنّهم مسيحيّون. هذا يوَضِّح لنا أن كثيرين منّا لا يعرفون حقيقةً كيف يحبّون اللّه. لم نفكّر حقيقة في معنى الوصيّة العظمى التي للمحبة وما تعنيه في حياتنا.

هل تحبّ اللّه ؟ هل تحبّه حقّاً ؟ **أنظر إلى طريقة حياتك** ، هذه التي سوف تعطيك دليلاً جيّداً عمَّا إذا كنت تحبّ اللّه حقّاً. يقول يسوع: «الذي يحبّني يحفظ وصاياي» (يو١٤:١٥). عندما أتواجه لأتّخذ قراراً ، هل أتمعّن أولاً وأفكّر جيّداً فيما هي إرادة اللّه معي في هذا الموقف ؟ هؤلاء الذين يحبّون اللّه يحاولون أن يعرفوا كثيراً عن يسوع بقدر ما يستطيعون ، ويحاولوا أن يتعلّموا مشيئته في حياتهم ، كما أنّهم يجتهدون في أن يقضوا وقتاً طويلاً بقدر ما يستطيعون معه في الصلاة ، في الكنيسة ، في دراسة كلمته ، في مساعدة الفقراء والمتألّمين.

هل حقّاً تحبّ اللّه ؟ إسترجع كل أنواع المحبّة الأخرى التي عرفتها ، محبة صيد السمك ، محبّة الموسيقى ، المحبّة الرومانسيّة ،

محبّة الطبيعة ، محبّة الكتب. إسأل نفسك ما إذا كنت تحبّ اللّه هكذا. هذه هي بالضبط ما تعنيه هذه الكلمة: (تحبّ). هل أنتَ متحمّس عندما تفكّر في اللّه ، كما يفعل صيّاد السمك وهو يتصبَّب عرقاً على طاولته في يوم حارّ ، وهو يفكّر في تدفّق سمك السلمون ورائحة خشب الصنوبر وموسيقى المياه التي ترقص في مجرى الماء ؟ إن كنتَ تحبّ الموسيقى ، فهل يسوع بالنسبة لك مثل الموسيقى ، خبرة ترفعك وتوصِّلك إلى الدهش والإنبهار اللذين يتركانك تهتزّ ويمسكان أنفاسك ؟ هل حياتك كما لو كانت ملفوفة ومدّثرة ومغلّفة باللّه ، كما أن حياتك ملتصقة بابنك الذي تحبّه كثيراً. إن كنتَ تحبّ التزلّج على الجليد ، فهل يعنيك في أن تصرف مالاً قليلاً لازماً لتشتري كلّ معدّات التزلّج غالية الثمن ؟ أظن لا ! إنّ المحبّة لا تحسب الثمن.

إن كنتَ تحبّ اللّه وكنيسته ، فما مقدار الثروة ، إن لَزم الأمر ، التي تصرفها عليه بسرور ؟ إن لم يكن فلمَ لا ؟ أما يستحقّها ؟ إن لم يكن ، فمَنْ يكون ؟ مَنْ أو ما هو حبّك الأوّل ؟.

أنصاف مسيحيين :

يقول شخصٌ ما: "إنّ أعظم جريمة يمكن أن يرتكبها الكاهن ضدّ شعبه هو أن يسمح لهم أن يكونوا أنصاف مسيحيين ، مسيحيي منتصف الطريق".

إنّ النصف مسيحي هو شخص يشعر أنّ له «ديناً» يكفي ، أعمال صالحة ليجوز الإمتحان الأخير ، ويكره أي أحد يتحدّى إقتناعه الذّاتي. يقول **إلتون تروبلد:** « إنّ هرطقتنا ليست هي أنّنا ننكر سيّدنا ، ولكن أنّنا نجعل ما يجب أن يكون كبيراً ، نجعله صغيراً ، مثل: إصغاء قليل ، ملازمة قليلة ، مال قليل ، صلاة قليلة ، وهذا كلّ شيء».

تحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك» (متى ٢٢ : ٣٧)

المحبّة هي كلّ شيءٌ :

تحكي أسطورة: أنّ تاجراً ثريّاً بينما كان يسافر في منطقة البحر المتوسط سمع حديثاً طويلاً عن بولس الرسول حتى أصبح مفتوناً به ، لدرجة أنّه ما أن وصل إلى روما حتى قرّر أن يزوره في السجن. تقابل الرجل الغنيّ مع تيموثاوس الذي رتّب له مقابلة معه. وبينما التاجر يُسرع في خطواته نحو سكن القديس بولس ، فإنّه اندهش ليجده شخصاً هرماً أكثر ممّا كان يتوقّع ، وهو مُجهَد بَدَنياً ، إلاّ أنّه مع ذلك شعر للتوّ بقوّة الرسول وصفاته وهدوئه وشخصيته المغناطيسية الجذّابة. تكلّم التاجر مع القديس بولس ساعات طويلة ، وأخيراً انصرف التاجر وهو مصحوبٌ ببركة القديس بولس. وخارج المسكن سأل التاجرُ القديس تيموثاوس: «ما هو السرّ في قوّة هذا الإنسان؟ إنّني لم أرَ قطّ شيئاً مثل هذا أبداً من قَبل. فقال له تيموثاوس: ألَم تُخَمِّن ؟ إنّ بولس في حالة حبّ! فنَظَرَ إليه التاجر وهو مرتبك ومتحيِّر وسأل: "حبّ؟!" فأجابه تيموثاوس: "نعم، إنّ بولس في حالة حبّ مع يسوع المسيح" ، فنظر التاجر وهو متحيّر أكثر وسأل: هل هذا هو كلّ ما في الموضوع؟ فابتسم تيموثاوس وأجابه: "نعم، هذا هو كلّ ما في الموضوع، هذا كلّ شيء!".

إن كنّا حقّاً نحبّ اللّه مثل بولس الرسول، فسوف نكون نحن أيضاً قادرين أن نرى اللّه يعمل في حياتنا مستخدماً كلّ ما يحدث لنا لأجل الخير الأبدي، ونقدر أن نقول مثله: «إنّنا نعلم أنّ اللّه يعمل في كلّ الأشياء للخير لأولئك الذين يحبّونه».

المسيح الضابط الكل

ولدَ المسيح فشعّ نور جبينه
وامتدّ في الغبراء فجر يقينه
روحٌ أطلّ على البريّة منقذاً
أرواحنا بحنانه وحنينه
هبط الثرى وعلى الثريا عرشه
والشهب تقبس من بريق عيونه

قداسة العذراء مريم

نلتِ الكمال فمن يحدّ علاك
يا من سموتِ على النساء بأسرها
قد صرت للأجيال رمز طهارة
الأنبياء تنبأوا بك واشتهوا
ومشى الزمان وكلّ جيلٍ يشتهي
قد نلتِ عند اللّه خير مكانة
اللّه باري الكون جلّ جلاله
إنّ النجوم تسير بأفلاكها

يكبو جواد الفكر دون مداك
لم تشهد الدنيا شبيه تقاك
وطلعت مثل الصبح ما أبهاك
أن يبصروا يوم إنبلاج سناك
أن تسعد الدنيا بيوم لقاك
لم تعطها بين النساء سواك
لم يرضَ أمّاً في الورى إلاك
لكنها لا ترتقي لعلاك

تتمة من العدد السابق

٣: هل السعادة في العلم ؟

لا يُنكر أحد ما للعلم من المنافع والفوائد وما جلبه للعالم من وسائل الراحة بواسطة الإكتشافات والإختراعات التي قرّبت العالم بعضه إلى بعض . وليس من يُنكر لذّة الأبحاث العلميّة والأدبيّة. والعالم بدونه كَـبَرّيّة قاحلة. قال **ماكولي**: «العلم قد أطال الحياة وخفّف الآلام ، وأفنى الأوبئة ، وزاد الأرض خصباً ، والبحري هداية ، وسلّح الجندي بعُدّة جديدة ، وأقام فوق الأنهار الكبيرة جسوراً فخيمة بأشكال لم يحلم بها أجدادنا ، وذلّل الصاعقة المنقضّة من أعلى عُلَيَيْن وأنزلها إلى تحت التراب مخزية مخذولة ، وأنار الليل بسناء النهار ، بل أطال بَصر الإنسان فصار يرَى بعيدَ الأشباح كأنها أقرب إليه من الوريد ، وزاد حركة المتحرّك ، وضاعف سرعة السريع ، وحكم على البُعد والمسافة بالإعدام ، وسهّل المخابرات والمراسلات ؛ بل مكّن الإنسان من النزول إلى قرار البحار ، ومن التحليق في طبقات الجوّ ، ومن الدخول في ظلمات الأرض ، وقطع السهول على مركبات لا تجرّها الخيول ، وقطع البحار بسرعة كبيرة ضدّ الريح».

هذه فوائد العلم ، وهذه منافعه للعالم ، ولكن هل هؤلاء المخترعين والمكتشفين الذين أفنوا حياتهم وضحّوا كلّ ما عندهم في سبيل ارتقاء العلم ، وجَدّوا سعادتهم في أبحاثهم. هيهات ذلك فإن تواريخهم شاهدة على الأتعاب والضيقات التي اكتنفتهم. فالواحد **كَفَرَ** ، والآخر **سُجن** ، وغيره **حُكمَ عليه بالإعدام كمجرم** ، وآخر **إحتُقرَ** ، وغيره عاش **مضنوكاً بالآلام** وما أشبههم بقنديلٍ يحترق ليضيء على الآخرين.

قال **الحكيم سليمان**: لأن في كثرة الحكمة كثرة الغمّ ، والذي يزيد علماً يزيد حزناً (جامعة ١:١٨). نعم كما قال هذا الحكيم. أن للحكمة منفعة أكثرة من الجهل كما أن للنور منفعة أكثر من الظلمة ، الحكيم عيناه في رأسه «أما الجاهل فيسلك في الظلام»، ولكنه عاد وقال وعرفت أنا أيضاً أن حادثة واحدة تحدث لكليهما فقلت في قلبي كما يحدث للجاهل كذلك يحدث أيضاً لي أنا ، وإذ ذاك فلماذا أنا أوفَر حكمة فقلت في قلبي هذا أيضاً باطل (جامعة٢: ١٣-١٥).

قال **برناردين دي سان بيير**: « أن المواهب العقلية أندر من الثروة والجاه في هذه الحياة ، وهي أفضل منها لأنّها لا تزول عن صاحبها ، ولكنها لا تُكتَسَب إلاّ بجهد شديد وقهر النفس ونبذ الملاذ وفضلاً عن ذلك فإنها تجلب معهًا إحساساً شديداً يجعلنا تُعساء في الباطن لتأثّرنا من كل شيء وتجلب لنا في الخارج عداوة الناس واضطهاداتهم.

ألا تذكر ما أصاب جميع الفلاسفة الذين دعوا الناس إلى الحكمة ، فإن **هوميروس** الذي كساها أبياتاً في غاية الجمال كان شحّاذاً يطلب الصَدَقة في زمانه.

و**سقراط** الذي ألقى على الأثينيين دروساً جميلة ببلاغته وقدرته جرع السمّ من أيديهم بحكم قانوني.

وتلميذه العظيم **أفلاطون** بيعَ بيع الرقيق بأمر الأمير الذي كان يحميه.

و**فيثاغورس** الذي كان قبلهم يطلق الإنسانية حتى على الحيوانات أحرقه الكرتونياتيون وهو في قيد الحياة».

ومن هذا يظهر أنّ السعادة ليست في العلم.

يتبع في العدد القادم

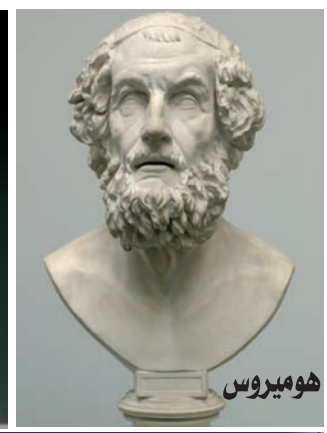
هوميروس

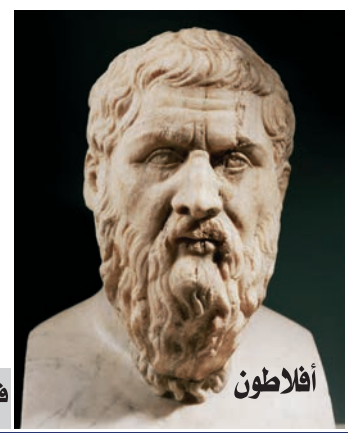
أفلاطون

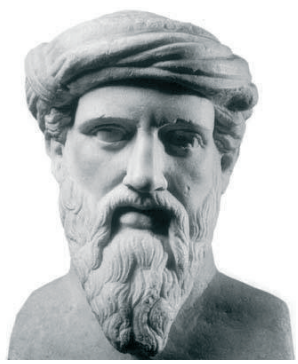
فيثاغورس أحرق وهو على قيد الحياة

سقراط
يجرع كأس السمّ من أيدي الأثينيين.

قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتُ

الملاك يبشّر النسوة

أنظرن الأكفان ملفوفة أسرعن وبشرن تلاميذه أن الربّ قد قام وأمات الموت.

سر الموت

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

لأنّه ابن اللّه منقذ العالم.

مقابلة أجراها البروفسور بافل كيريلا من مستشفى القديسة إيريني في بوخارست.

١) سؤال: أرجو أن تخبرنا أول شيء يخطر في بالك **عن الموت**، شيئاً تعتبره فائق الأهمية.

جواب: ما يأتي عفوياً في فكري هو أنّ الموت سرّ رهيب، بحسب ما ننشد في خدمة الجنّاز من نظم **القديس يوحنا الدمشقي**. إنّ هذا الأمر مرتبط بحقيقة أن النفس تُفصَل بالقوّة عن الانسجام الناجم عن اتحادها بالجسد. إنّه أيضاً حادث حزين لأنه مرتبط بقابلية الإنسان للفناء والموت الظاهرة في كل حياة. إلى هذا، إنّه يذكّرني بخدمة الجناز البهيّة كما نحتفل بها نحن **الروم الأرثوذكس** إذ نحمل شموعاً مضاءة وننشد انتصارياً «المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور». هذه الصورة الجميلة تُظهر موقفنا من الحياة والموت. نحن قابلون للفساد والموت لكننا نملك «**دواء عدم الموت**» الذي هو **المسيح القائم من بين الأموات**. يمكننا القول، باستعمال المصطلحات الحديثة، أنّ بتجسّد الابن واتّحاد الطبيعتين البشرية والإلهية في شخص الكلمة، حصل «استنساخ روحي»، واتّحدت طبيعتنا المائتة بحياة الله. لهذا غيّر الموت اسمه وهو الآن يُسمّى رقاداً، وأماكن دفن الراقدين تُسمّى مراقد (مدافن) وليست قبوراً. إذاً، عندما أرى الناس حاملين شموعاً مضاءة منشدين «**المسيح قام**» عند قيامة المسيح، أفهم بشكل أفضل أنّ علينا أن ننظر إلى الموت كعملية عبور بالمسيح من «**أرض مصر**» إلى «**أرض الميعاد**»، من الموت إلى الحياة، وكرجاء بقيامتنا التي تتم أيضاً بالمسيح. إن الأمر ليكون سعيداً جداً أن نتوقّع الموت في هذه الوضعية، حاملين شمعة القيامة منشدين «**المسيح قام**». في النهاية، نحن «**غرباء وحجاج**» في هذه الحياة وموطننا الحقيقي ليس هنا. أنا أتأثّر دائماً بكلمات القديس **نيكولا كاباسيلاس** (القرن الرابع عشر) بأننا فيما نحيا هنا على الأرض إلا أننا مثل جنين في رحم أمه، نولَد لحظة موتنا ونخرج من ذلك الرحم. لهذا السبب، في الكنيسة الأرثوذكسية يُعيَّد للقديسين في يوم رقادهم أو استشهادهم وليس في يوم مولدهم.

٢) سؤال: نفهم من الكتاب المقدس وجود نوعين من الخوف: خوف مقدّس، وهو رأس الحكمة بحسب كاتب المزامير، وخوف آخر يوحي به الشياطين، وهو خوف مَرَضِيّ. في أي من الفئتين يأتي الخوف من الموت؟

جواب: بالواقع، هناك خوف من الله هو قوة لنعمة الله وبداية للخلاص، أي أنّ الإنسان يخاف أو يحترم الله ويبدأ بإطاعة وصاياه، وهناك خوف توحي به الشياطين يسبّب القلق والكرب. في أي حال، إلى جانب هذين الخوفين هناك الخوف النفساني المرتبط بشعور الإنسان بعدم الأمان وعجزه العاطفي. معنى الخوف من الموت يختلف من شخص إلى آخر. بالنسبة للأشخاص العالميين والملحدين يرتبط بمسلك «**العدمية**» أي أنّهم يفكرون بأنّهم يتركون العالم الوحيد في الوجود وينتهون إلى العدم واللاوجود. هذا ليس موجوداً عند الأرثوذكسيين. فخوف الموت عند المسيحيين يرتبط برحيل الروح من العالم الذي يعرفونه، بترك الأصدقاء والأقرباء، والدخول إلى عالم آخر لا يعرفونه بعد. إنّهم لا يعرفون كيف سوف تكون حياتهم وما الذي سوف يكون مع حكم الله بعد موتهم. من هنا ضرورة الرجاء والأستعداد الملائم.

بالطبع، إن المسيحيين الذين بلغوا استنارة النوس والتألّه قد اتّحدوا مع المسيح ويتخطّون خوف الموت، كما نرى في حياة الرسل والشهداء وقديسي الكنيسة بشكل عام. في قراءة السنكسار نجد جملاً مثل «في مثل هذا اليوم، القديس (فلان) تكمّل في سلام» أو «تكمّل بالسيف»، وغيرها. يجب الإشارة هنا إلى أنّ في اليونانية، الفعل « teleioutai » يعني «تكمّل» أي اقتيد إلى الكمال، وهو يختلف عن الفعل « **teleionei** » الذي يعني «**انتهى**» (لم يعد موجوداً). كما يمكننا أن نقول بأن حياة الحواس « **vios** » **تنتهي بالموت** بينما الحياة « zoe » تتكمّل ولا تنتهي. المهمّ هو أننا بالحياة الروحية التي نعيشها علينا أن نغلب الخوف من الموت ونشعر بالموت كطريق نحو اللقاء مع المسيح والعذراء الكلية القداسة والقديسين.

٣) سؤال: نعرف من التقليد المقدّس أنّ عند موت إنسان ما، تحضر الملائكة والقديسون والشياطين أيضاً. ماذا تقول لنا عن ذلك؟

جواب: نعرف من تعليم المسيح وكامل تقليد الكنيسة أنّ كلا الملائكة والشياطين موجودون، وليسوا تشخيصات للخير والشر،

بل كائنات فردية خلقها الله. الشياطين كانوا ملائكة فقدوا شركتهم مع الله. كثيرون من القديسين استحقّوا أن يروا، في هذه الحياة، الملائكة وشياطين التجارب أيضاً. بحسب تعليم آبائنا، الملائكة والقديسون وحتّى المسيح والعذراء الكلية القداسة، غالباً ما يظهرون إلى المشرفين على الموت ليساندوهم ويقووهم على تخطّي الخوف الذي يثيره الموت. الشياطين أيضاً يظهرون، خاصةً عندما يكونون قادرين على التأثير في بعض الأشخاص بسبب أهوائهم، ويطالبون بالسلطة على أرواحهم. هذا ما تذكّرنا به صلاة النوم الصغرى في أفشين لوالدة الإله «عند خروج نفسي الشقية، تداركيني من حولي، ولقتام مناظر الجن الأشرار أقصي عنّي بعيداً».

يا والدة الأله تشفّعي لدى المسيح الإله في خلاص نفوسنا

بحسب تعليم الكنيسة، نعرف أنّ لكل إنسان «**ملاكاً حارساً**» يحميه، ولهذا يوجد صلاة خاصة بالملاك الحارس في صلاة النوم. كان **الأب باييسيوس الراهب** من الجبل المقدس يقول أنّه كثيراً ما رأى ملاكه الحارس وعانقه. كان يقول بأن علينا أن نجاهد للوصول إلى الخلاص حتى أن ملاكنا، الذي احتمل آلاماً كثيرة ليحمينا ويساعدنا في حياتنا، لا يتقدّم من الله فارغ اليدين، إذا لم نخلص بسبب إهمالنا.

أذكر بتأثّر أن أبي (أب المتروبوليت فلاخوس) كان عند دخوله الكنيسة يذهب مباشرة إلى باب الهيكل الشمالي ويقبّل أيقونة **رئيس الملائكة ميخائيل** ويسأله أن يتقبّل نفسه في الوقت المناسب بعد أن يتوب ويحميه من الشياطين الشريرة ويقودها إلى الله. ربما هذه الصلاة، من بين غيرها، ساعدته على الحصول على رقاد حَسَن ووجه مبتسم في الكفن.

٤) سؤال: نقرأ في الكتاب المقدّس أنّ الرحمة تفوقت على الحكم. هل هذا يعني أن أعمال الإحسان تغفر كثرة الخطايا؟

جواب: يجب أن نرى ما هو معنى الرحمة. بالحقيقة، الرحمة هي الشعور بالنعمة الإلهية ومحبة الله. عندما نصلّي «يا رب ارحم»، نطلب رحمة الله ونعمته. مَن اختبر النعمة الإلهية يكون كريماً مع إخوته في كل أنواع الصدقات المعبّر عنها بالصلوات والأقوال اللاهوتية والمساهمات المادية، وبهذا يمارس التطويبة «طوبى للرحماء فإنهم سيُرحَمون» (متى٥:٧). بهذا المعنى يمكن القول بأن الإحساس بنعمة الله والإحسان يتخطيان الحكم. إنّ مَن تحوّل روحياً واتّحد بالله لا يخشى الحكم، لأن قول المسيح ينطبق عليه: «اَ حْقَّ ا حْقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى ا حْيَاةِ.» (يوحنا٥:٢٤).

بحسب تعليم آباء الكنيسة، هناك ثلاث أحكام. الأول يتمّ في حياتنا، عندما يواجهنا مأزق اتّباع إرادة الله أو رفضها، عندما علينا أن نختار بين فكر الخير أو الشر. الحكم الثاني يتمّ عند خروج النفس من الجسد، بحسب **القديس بولس**: «وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ» (عبرانيين٩:٢٧). الحكم الثالث والأخير سوف يكون عند المجيء الثاني للمسيح. الحكم الأول مهم. يقول **القديس سمعان اللاهوتي الحديث** أنّه عندما يتّحد إنسان ما بالمسيح في هذه الحياة ويرى النور غير المخلوق، يكون الحكم قد تمّ ولا ينتظره عند المجيء الثاني. هذا يذكّرنا بقول المسيح المذكور سابقاً. هنا أريد أن أكرر قول **القديس باسيليوس الكبير** وغيره من آباء الكنيسة بأنّ هناك ثلاث فئات من المخلَّصين، **العبيد** الذين يتبعون إرادة الله ليتجنّبوا الجحيم، **الأجراء** الذين يجاهدون ليستأهلوا النعيم كمكافأة، **والأبناء** الذين يطيعون مشيئة الله بسبب محبتهم له. إذاً، في حياتنا علينا أن نتقدّم روحياً ونعبر من مرحلة العبيد إلى مرحلة الأجراء ومن هناك إلى عقلية الأبناء. هذا يعني العبور من الخوف والمكافأة في المحبة، أي أن نحب المسيح لأنّه أبونا وأمنا وصديقنا وأخونا وعريسنا وعروسنا. هكذا نتخطّى الحكم.

٥) سؤال: أخبرنا شيئاً عن الموت المفاجئ.

جواب: إنّ تقييم الموت الفجائي يتوقّف على نظرة الإنسان. فبالنسبة للدهريين، الموت المفاجئ حسن ومقبول ومرغوب لأنهم لا يتعذّبون ولا يتألّمون بالأمراض والشيخوخة. عند المؤمنين المسيحيين، الموت الفجائي سيء لأنّهم يُحرَمون إمكانية التهيؤ بشكل أفضل للقائهم بالمسيح والكنيسة السماوية. عندما يزور الإنسان مسئولاً كبيراً يتهيّأ كما يليق، والأمر نفسه ينبغي عمله عند لقاء المسيح. الاستعداد بالتوبة أساسي. لهذا كان **الأب باييسيوس** ذو الذكر المؤبّد يقول بأنّ السرطان هو مرض طاهر لأنّه ملأ الفردوس بالقديسين، ما يعني أن المرض لفترة طويلة يهيئ الناس بالصلاة والتوبة. بحسب **تعليم القديس مكسيموس المعترف**، الألم يشفي اللذة.

في كل الأحوال، الموت هو الحدث الأكثر يقيناً. نحن نراه حولنا، كل شيء يموت، كل المخلوقات الحية، أصدقاؤنا، أقرباؤنا. ما ليس مؤكّداً ومعروفاً عندنا هو ساعة الموت، أي ساعة مجيئه. فقد تتمّ خلال النوم، المشي، السفر، العمل، التسلية، أو غيرها. لهذا علينا أن نصلّي يومياً كما تفعل الكنيسة: «من أجل أن نتمم حياتنا بسلام وتوبة، إلى الرب نطلب» ، و «من أجل أن تكون أواخر حياتنا مسيحية سلامية بلا حزن ولا خزي وجواباً حسناً لدى منبر المسيح المرهوب نسأل».

في **تعليم الآباء القديسين**، نواجه حقيقة أنّ **أعظم المواهب** التي يمكن أن يمتلكها الإنسان هي «**ذكر الموت**» اليومي. عندما يُصان هذا بنعمة الله، يقود الإنسان لا إلى اليأس وعدم الرجاء والخوف النفساني، بل إلى الروح والصلاة والإبداع حتّى في الأمور البشرية، لأنّه يحاول أن ينهي أعماله ويستعدّ كما يليق. عندما نحيا كلّ يوم وكأنّه الأخير في حياتنا، يجدنا الموت المفاجئ مستعدين.

يتبع في العدد القادم

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٣٩)

تتمة من العدد السابق

الفصل الرابع: يشوع والقضاة

أ - يشوع وامتلاك كنعان • ثانياً - الغزو في الجنوب (يش٩-١٠)

بعد أن امتلك يشوع وسط كنعان خاصّة التلال والمرتفعات ذات الأهميّة الإستراتيجيّة ، وتحقّقت خطّته التي رسمها منذ البداية أن يدقّ إسفيناً في وسط الأرض فيفصل الشمال عن الجنوب وبذلك يسهُل عليه مهاجمة أعدائه الكثيرين المنتشرين في الأرض ، ويحاربهم في غزوتين منفصلتين، وقد سجّل السفر أحداث غزو الوسط بكل التفاصيل لأنّها كانت أهمّ الغزوات ومفتاح إمتلاك الأرض ؛ والآيات الأولى في الأصحاح التاسع تعتبر مقدمّة إفتتاحيّة للغزوات التي سيخوضها يشوع في كلٍّ من الجنوب والشمال بعد أن تملّك شعوبها الخوف ، وقد بدأ بغزوته الثانية في إتجاه الجنوب الغربي ليهزم تحالفاً من ملوك الجنوب الكنعانيين في جبعون (يشوع ١٠).

التحالف مع الجبعونيين:

كانت جبعون مدينة عظيمة بل هي أعظم من عاي، وتقع في الأقليم الجبلي على بُعد حوالي ستة أميال (٩،٦كم) شمال غربي أورشليم ، وستّة أميال جنوب غربيّ عاي ، وكانت تضمّ إليها ثلاث مدن أخرى هي الكفيرة وبئيروت وكيريات يعاريم (يشوع ٩: ١٧،١٦)، ولم يكن لهذه المدن مَلِك ، لكن كان يحكمها شيوخ من الحويين وهم ليسوا أصلاً كنعانيين ، فأتى الشيوخ إلى معسكر يشوع في الجلجال ليقطع معهم عهداً متظاهرين أنّهم قادمين من بلاد بعيدة ، وكان من حقّ يشوع أن يبرم أحلاف سلام مع الأمم التي تقع خارج كنعان ، ولكن الأمر الإلهيّ كان صريحاً بتدمير كل مدن كنعان (تث٢٠: ١٠) . وما أن قطع يشوع عهداً معهم حتى اكتشف خديعتهم ولم يستطع أن يحنث بالقَسَم ، فحفظهم بأن جعلهم محطبي حطب ومستقي ماء ، وأخذ مدنهم ، وبذلك إستولى على الهضبة حول جبعون إلى الجنوب الغربي من عاي وهي هضبة حيويّة في الحرب ويبلغ طولها ١٢ ميلاً (١٩،٢ كم) وعرضها ١٠ أميال (١٦ كم) .

ووصلت رسالة إلى يشوع في الجلجال يطلب فيها الجبعونيون النجدة وقد صار يشوع ملتزماً بحمايتهم بموجب المعاهدة التي قطعها معهم ، وهي التي أسرعت بدفع يشوع إلى الحرب ضدّ ملوك الأموريين الخمسة في الجنوب ، فقد تحالفوا معاً ليصنعوا حرباً ضدّ جبعون لتأديبها على خروجها منهم ومعاهدتها مع يشوع ، فقاموا بهجوم جماعي وانقضّوا عليها. وكان على يشوع أن يسرع في ظلام الليل فاجتاز الطريق الوعر من الجلجال إلى جبعون وهو نحو ١٥ ميلاً (٢٤كم) ، وباغَتَ جيش أعدائه بهجوم مفاجيء والذي لم يكن قد تهيّأ بعد للحرب ، ووسط الظلمة الحالكة حدث إرتباك في صفوف الأعداء فضربهم يشوع ضربة عظيمة في جبعون وطاردهم في طريق عقبة بيت حورون وعزيقة ومقيدة ، وحدث في بيت حورون إذ كان الأعداء هاربين مذعورين وقد ساروا ما يقرُب من عشرة أميال (١٦كم) حتى وصلوا إلى منحدر بيت حورون وفيه يمتدّ الطريق إلى مسافة ميلين (٣،٢) وينحدر نحو ٧٠٠ قدم (٢٤٠ متراً) وتغطيه الصخور والأحجار ، وإذ كانوا يسرعون محاولين الفرار إلى حصونهم في أسفل الوادي ، رماهم الربّ بالبَرَد فكان الذين هلكوا بالبَرَد أكثر من الذين قتلهم سيف يشوع ، وحارَبَ الربّ مع إسرائيل في ذلك اليوم الطويل الشهير ، وكان يوماً خالداً إذ وقفت الشمس والقمر في بروجهما . وتكون دورة الأرض في ذلك اليوم قد دارتها في ٤٨ ساعة ، واستجابة لصلاة يشوع صارت الشمس مشرقة بدفئها على جنوده ، بينما هَبَّت عاصفة البَرَد على جيش أعدائه.

مرحلة الغزو الثانية في الجنوب:

كانت غزوة سريعة (يشوع ١٠: ٢٨-٣٩) وفيها إستفاد العبرانيون من إختراقهم سهول الشّفيلاه للأنقضاض على الوادي الإستراتيجي جنوب عزيقة ، وصارت لهم السيطرة على الطريق العام والهام ، وبذلك إستولى يشوع على ليبناه ولخيش التي قاومت حتى اليوم الثاني ، ثم أخذ عجلون واستدار شرقاً ودمّر حبرون ودبير ، ولكن ظلّت بعض المدن لم يأخذها يشوع في ذلك الوقت مثل أورشليم.

كان إنتصار يشوع في الجنوب شاملاً وعظيماً فقد ضَرَب كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وأصبح يسيطر على الأرض من قادش برنيع في أقصى الجنوب ، وغزة في الغرب وامتدّ شمالاً إلى جبعون ، لقد كان سيف يشوع هو العدل الإلهيّ على رجاسات كنعان وتطهيرها ، ولا يزال هذا التخريب ظاهراً في بقايا المدن حتى اليوم.

وعاد يشوع مع جيشه إلى المعسكر في الجلجال حيث مكان إنطلاقهم ، فالجلجال هو بيت رجوعهم بعد كل غزوة ، فيه أقيمت المحلة وفيه دحرج العـــار حيث كان الإختتان ، وفيه أُقيم المذبح ، إنه مصدر قوّتهم ونُصرتهم ومكان إرتباطهم باللّه وتميّزهم وعدم إختلاطهم بشعوب الأرض.

يتبع